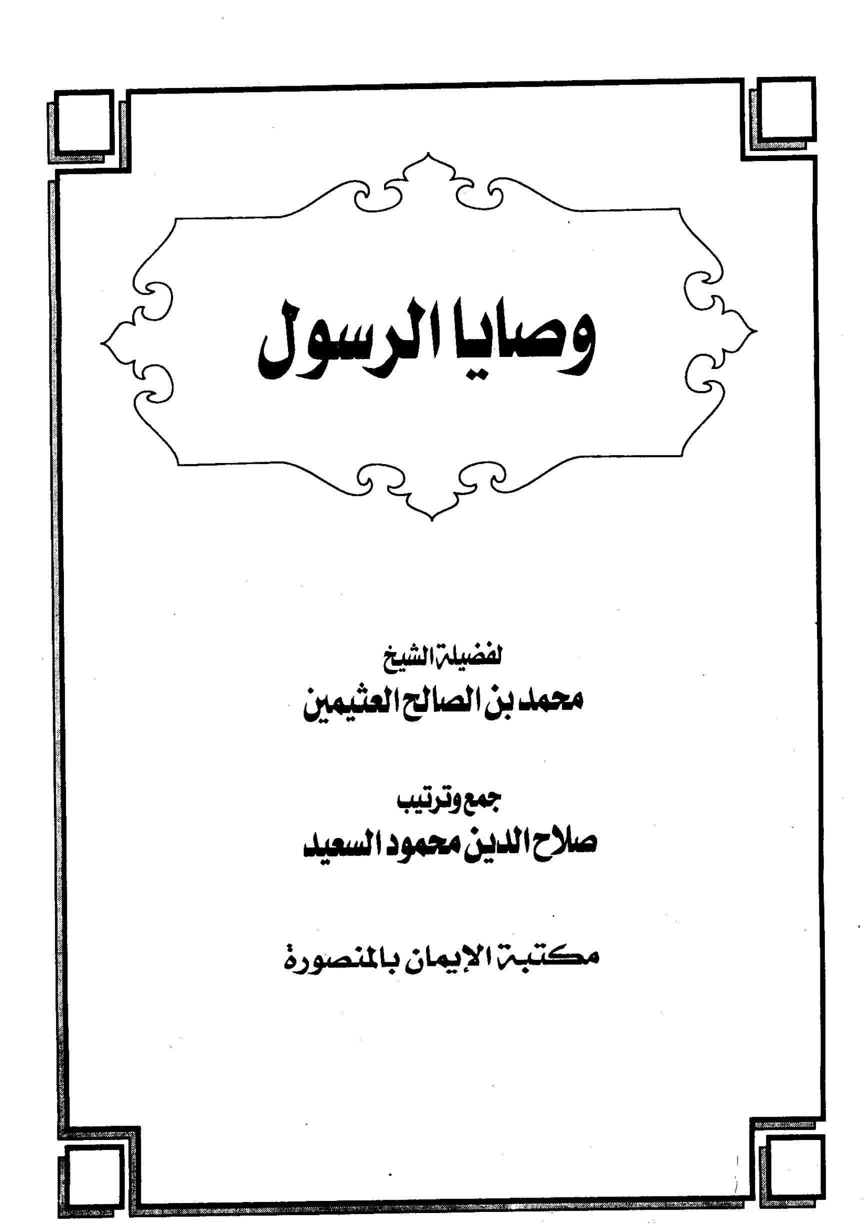


وصايا الرسول

لفضيلة الشيخ
محمد بن الصالح العثيمين

جمع وترتيب
صلاح الدين محمود السعيد

مكتبة الإيمان بالمنصورة



مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله حَقَّ تُقَاته ولا تَمُوتُنَّ إلاَّ وأَنتُم مُّسْلمُونَ ﴾.

«آل عمران:١٠٢»

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الذي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ واحدَة وخَلَقَ منْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ منْهُمَا رِجَالاً كَثيرًا ونِسَاءً واتَّقُوا الله الَّذي تَسَاءَلُونَ به والأَرْحَامَ إنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾.

«النساء:١»

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وقُولُوا قَوْلاً سَديدًا * يُصْلحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ومَن يُطعِ الله ورَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾.

«الأحزاب: ٧٠، ٧١»

ثم أما بعد...

فإن خير الكلام كلام الله وأحسن الهدي هدي النبي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد:

فهذه بعض وصايا الرسول ﷺ انتقيتها من وصاياه العظيمة وجمعت معها شرح فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - لهذه الوصايا، ثم قمت بترتيبها وتخريج آياتها وأحاديثها؛ ليعم بها النفع سائلاً الله (عز وجل) أن ينفع بها. وأن يتقبل هذا العمل لوجهه الكريم. وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

جمع وترتيب

أبو أنس/ صلاح الدين محمود السعيد

مصر - دمياط - باب الحرس

مجمع دار السلام

ت.م/ ٠١٢٧٩٥٣٨٩٢

الوصية الأولى

احفظ الله يحفظك

عن أبي العباس عبدالله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ يومًا فقال: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك. احفظ الله تجده تجاهك. إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك. رفعت الأقلام وجفت الصحف».

«رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح»

وفي رواية غير الترمذي. «احفظ الله تجده أمامك. تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة. واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك. واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا».

قوله: «كنت خلف النبي»: يحتمل أنه راكب معه ويحتمل أنه يمشي خلفه وأيا كان فالمهم أنه أوصاه بهذه الوصايا العظيمة.

قال: «إني أعلمك كلمات».

قال ذلك من أجل أن ينتبه لها «احفظ الله يحفظك» هذه كلمة «احفظ الله». يعني احفظ حدوده وشريعته بفعل أوامره واجتناب نواهيه يحفظك في دينك وأهلك ومالك ونفسك؛ لأن الله سبحانه وتعالى يجزي المحسنين بإحسانهم. وعُلِم من هذا أن من لم يحفظ الله فإنه لا يستحق أن يحفظه الله عز

وجل. وفي هذا الترغيب على حفظ حدود الله عز وجل.

الكلمة الثانية:

قال: «**احفظ الله تجده تجاهك**» ونقول في قوله: «**احفظ الله**». كما قلنا في الأولى. ومعنى: «**تجده تجاهك**» أي تجده أمامك يدلك على كل خير ويقربك إليه ويهديك إليه.

الكلمة الثالثة:

«**إذا سألت فاسأل الله**»: إذا سألت حاجة فلا تسأل إلا الله عز وجل ولا تسأل المخلوق شيئًا. وإذا قدر أنك سألت المخلوق ما يقدر عليه. فاعلم أنه سبب من الأسباب وأن المسبب هو الله عز وجل فاعتمد على الله تعالى.

الكلمة الرابعة:

«**وإذا استعنت فاستعن بالله**»: فإذا أردت العون وطلبت العون من أحد فلا تطلب العون إلا من الله. لأنه هو الذي بيده ملكوت السموات والأرض وهو يعينك إذا شاء وإذا أخلصت الاستعانة بالله وتوكلت عليه أعانك، وإذا استعنت بمخلوق فيما يقدر عليه فاعتقد أنه سبب وأن الله هو الذي سخره لك.

الكلمة الخامسة:

«**واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك**»: الأمة كلها من أولها إلى آخرها لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وعلى هذا فإن نفع الخلق الذي يأتي للإنسان فهو من الله في الحقيقة. لأنه هو الذي كتبه له وهذا حث لنا على أن نعتمد على الله تعالى ونعلم أن الأمة لا يجلبون لنا خيرًا إلا بإذن الله عز وجل.

الكلمة السادسة:

«**ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك**»: وعلى هذا فإن نالك ضرر من أحد فاعلم أن الله قد كتبه عليك فارض بقضاء الله وبقدره، ولا حرج أن تحاول أن تدفع عنك لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾«**الشورى:٤٠**».

الكلمة السابعة:

«**رفعت الأقلام وجفت الصحف**»: يعني أن ما كتبه الله تعالى قد انتهى فالأقلام رفعت والصحف جفت ولا تبديل لكلمات الله وفي رواية غير الترمذي «**احفظ الله تجده أمامك**»: وهذا بمعنى: «**تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة**»، يعني قم بحق الله عز وجل في حال الرخاء، في حال الصحة، في حال الغنى«**يعرفك في الشدة**» إذا زالت عنك الصحة وزال عنك الغنى واحتجت إلى الله عرفك بما سبق لك: أي بما سبق من فعل الخير الذي تعرفت به إلى الله عز وجل.

«**واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك**» يعني أن ما قدر الله تعالى أن يصيبك فإنه لا يخطئك. بل لا بد أن يقع. لأن الله قدره. وأن ما كتبه الله أن يخطئك رفعه عنك فلن يصيبك أبدًا فالأمر كله بيد الله. وهذا يؤدي إلى أن يعتمد الإنسان على ربه اعتمادًا كاملاً. ثم قال: «**واعلم أن النصر مع الصبر**» فهذه الجملة فيها الحث على الصبر لأنه إذا كان النصر مع الصبر فإن الإنسان يصبر من أجل أن ينال النصر.

وقوله: «**وإن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرًا**»: الفرج: انكشاف الشدة، والكرب الشديد: جمعه كروب كما قال تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ «**الشرح:٥، ٦**».

في حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فوائد: أولاً: ملاحظة النبي ﷺ لما هو دونه حيث قال: «**يا غلام إني أعلمك كلمات**».

• • ومن فوائده:

أنه ينبغي لمن ألقى كلامًا ذا أهمية أن يقدم له ما يوجب لفت الانتباه حيث قال: «**يا غلام إني أعلمك كلمات**». أن من حفظ الله حفظه لقوله: «**احفظ الله يحفظك**». وسبق معنى «**احفظ الله يحفظك**».

أن من أضاع الله - أي: أضاع دين الله - فإن الله يضيعه ولا يحفظه. قال تعالى: ﴿**ولا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا الله فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ**﴾

«**الحشر:١٩**» أن من حفظ الله عز وجل هداه ودله على مافيه الخير وأن من لازم حفظ الله له أن يمنع عند الشر إذ قوله: «**احفظ الله تجده تجاهك**» كقوله في اللفظ الآخر: «**تجده أمامك**».

أن الإنسان إذا احتاج إلى معونة فليستعن بالله ولكن لا مانع أن يستعين بغير الله ممن يمكنه أن يعينه لقول النبي ﷺ: «**وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة**». «**جزء من حديث عند البخاري ومسلم**»

أن الأمة لن تستطيع أن ينفعوا أحدًا إلا إذا كان الله قد كتب له. ولن يستطيعوا أن يضروا أحدًا إلا أن يكون الله تعالى قد كتب ذلك عليه.

أنه يجب على المرء أن يكون معلقًا رجاؤه بالله عز وجل وأن لا يلتفت إلى المخلوقين فإن المخلوقين لا يملكون له ضرًا ولا نفعًا.

أن كل شيء مكتوب منتهي منه فقد ثبت عن النبيﷺ: «**أن الله قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة**».

«رواه مسلم»

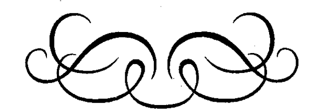
في الرواية الأخرىٰ أن الإنسان إذا تعرف إلىٰ الله بطاعته في الصحة والرخاء. عرفه الله في حال الشدة فلطف به وأعانه وأزال شدته.

أن الإنسان إذا كان قد كتب الله عليه شيئًا فإنه لا يخطئه وأن الله إذا لم يكتب عليه شيء فإنه لا يصيبه.

البشارة العظيمة للصابرين وأن النصر مقارن للصبر.

البشارة العظيمة أيضًا بأن تفريج الكربات وإزالة الشدات مقرون بالكرب فكلما كرب الإنسان الأمر فرج الله عنه.

البشارة العظيمة أن الإنسان إذا أصابه العسر فلينتظر اليسر وقد ذكر الله تعالىٰ ذلك في القرآن فقال تعالىٰ: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ «**الشرح:٥، ٦**» فإذا عسرت بك الأمور فالتجئ إلىٰ الله عز وجل منتظرًا تيسيره مصدقًا بوعده.



الوصية الثاني

التقوى وحسن الخلق

عن أبي ذر جندب بن جنادة وأبي عبد الرحمن معاذ بن جبل رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: « **اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسن تمحها وخالق الناس بخلق حسن** ». «**رواه الترمذي**» وقال حديث حسن.

هذا الحديث من أحاديث الأربعين النووية: وفيها أن النبي ﷺ أوصى بثلاث وصايا عظيمة:

الوصية الأولى: اتق الله حيثما كنت:

قال: «**اتق الله حيثما كنت**»: وتقوى الله هي اجتناب المحارم وفعل الأوامر هذه هي التقوى أن تفعل ما أمرك الله به إخلاصًا لله واتباعًا لرسول الله ﷺ، وأن تترك ما نهى الله عنه امتثالاً لنهي الله عز وجل وتنزهًا عن محارم الله.

مثاله: تقوم بما أوجب الله عليك في أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين وهي الصلاة: فتأتي بها كاملة بشروطها وأركانها وواجباتها وتكملها بالمكملات.

فمن أخل بشرط من شروط الصلاة أو واجباتها فإنه لم يتق الله، بل نقص من تقواه ما نقص من المأمور.

في الزكاة: تقوى الله فيها أن تحصى جميع أموالك التي فيها الزكاة وتخرج زكاتك طيبة بها نفسك من غير بخل ولا تقتير ولا تأخير فمن لم يفعل فإنه لم يتق الله.

في الصــوم: يأتي بالصوم كما أمرت مجـتنبًا فيه اللغو والرفث والصخب والغيبة والنميمة وغير ذلك مما ينقص الصوم ويزيل روح الصوم، ومعناه الحقيقي وهو الصوم عما حرم الله عز وجل.

وهكذا بقية الواجبات تقوم بها طاعة لله وامتثالاً لأمره وإخلاصًا له واتباعًا لرسوله، وكـذلك في المنهيات تترك مـا نهى الله عنه امتثـالاً لنهي الله عز وجل حيث نهاك فانتهى.

الوصية الثانية: «أتبع السيئة الحسنة تمحها»:

أي: إذا عملت سيئـة فأتبعها بحسنة فإن الحـسنات يذهبن السيئات، ومن الحسنـات بعد السـيئات أن تتـوب إلى الله من السـيئات فـإن التوبة من أفـضل الحسنات. كمـا قال الله عز وجل: ﴿**إِنَّ الله يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ويُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾ «البـقرة: ٢٢٢». وقـال تعـالى: ﴿**وتُوبُوا إِلَى الله جَـمِـيعًـا أَيُّهَـا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ «النور: ٣١».

وكذلـك الأعمال الصـالحة تكـفر السيـئات كـما قـال النبي عليه الـصلاة والسلام: «**الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر**»

وقال: «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما**»

فالحسنات يذهبن السيئات.

الوصية الثالثة: «خالق الناس خلق حسن»:

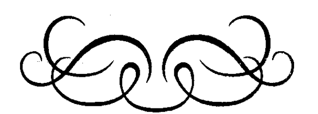
والوصيتان الأوليان في معاملة الخالق والثالثة في معاملة الخلق. أن تعاملهم بخلق حـسن تحمـد الله عليه ولا تذم فـيه وذلك بطلاقـة الوجه وصـدق القول وحسن المخاطبة وغـير ذلك من الأخلاق الحسنة، وقد جاءت النـصوص الكثيرة

في فضل الخلق الحسن حتى قال النبي عليه الصلاة والسلام: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا» . «رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح»

وأخبر أن أولى الناس به ﷺ وأقربهم منه منزلة يوم القيامة أحاسنهم أخلاقًا.

فالأخلاق الحسنة مع كونها مسلكًا حسنًا في المجتمع ويكون صاحبها محبوبًا إلى الناس فيها أجر عظيم يناله الإنسان في يوم القيامة.

فاحفظ هذه الوصايا الثلاث من النبي ﷺ والله الموفق.



الوصية الثالثة

التوبة

عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**».

«رواه البخاري»

وعن الأغربن يسار المزني ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب في اليوم مئة مرة**».

«رواه مسلم»

أقسم النبي ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه بأنه يستغفر الله ويتوب إليه أكثر من سبعين مرة. هذا وهو الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. وفي حديث الأغر بن يسار المزني أنه ﷺ قال: «**يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة**».

ففي هذين الحديثين: دليل على وجوب التوبة لأن النبي ﷺ أمر بها فقال: «**يا أيها الناس توبوا إلى الله**». فإذا تاب الإنسان إلى ربه حصل بذلك فائدتين:

الفائدة الأولى:

إمتثال أمر الله وسوله وفي امتثال أمر الله ورسوله كل خير. فعلى امتثال أمر الله ورسوله تدور السعادة في الدنيا والآخرة

والفائدة الثانية:

الاقتداء برسول الله. حيث كان ﷺ يتوب إلى الله في اليوم مائة مرة يعني يقول أتوب إلى الله أتوب إلى الله... إلخ، والتوبة لا بد فيها من صدق بحيث إذا تاب الإنسان إلى الله أقلع عن الذنب. أما الإنسان الذي يتوب بلسانه وقلبه منطو على فعل المعصية أو على ترك الواجب، أو يتوب إلى بلسانه وجوارحه مصرة على فعل المعصية - فإن توبته لا تنفعه بل إنها أشبه ما تكون بالاستهزاء بالله (عز وجل). كيف تقول أتوب إلى الله من معصية وأنت مصر عليها. أو تقول أتوب إلى الله من معصية وأنت عازم على فعلها؟

الإنسان لو عامل بشراً مثله بهذه المعاملة لقال هذا يسخر بي ويستهزئ بي!! كيف يتنصل من أمر عندي وهو متلبس به ما هذا إلا هزؤ ولعب فكيف برب العالمين؟! إن من الناس من يقول إنه تائب من الربا ولكنه والعياذ بالله مصر عليه يمارس الربا صريحًا ويمارس الربا مخادعة وقد مر بنا كثيرًا أن الذي يمارس الربا بالمخادعة أعظم إثمًا وجرمًا من الذي يمارس بالصراحة لأن الذي يمارس الربا بالمخادعة جنى على نفسه مرتين:

أولاً : الوقوع في الربا.

ثانيًا : مخادعة الله عز وجل وكأن الله لا يعلم. وهذا يوجد كثيرًا في الناس اليوم الذين يتعاملون في الربا صريحًا أمرهم واضح، لكن من الناس من يتعامل في الربا خيانة ومخادعة تجد عنده أموالاً لها سنوات عديدة في دكان فيأتي الغني بشخص فقير يقوده للمذبحة والعياذ بالله، فيأتي إلى صاحب الدكان الذي عنده هذه البضاعة ويبيعها على الفقير بالدين بيعًا صوريًا. وكل يعلم أنه ليس بيعًا حقيقيًا لأن هذا المشترى المدين لا يقبله ولا ينظر ولا يهمه بل لو كان أكياسًا من الرمل وبيعت عليه أنها أرز أو سكر أخذها يهمه أن يقضي حاجة

فيبيعها عليه مثلاً بعشرة آلاف لمدة وينصرف بدون أن ينقلها من مكانها ثم يبيعها هذا المدين على صاحب الدكان بتسعة آلاف مثلاً فيؤكل هذا الفقير من وجهين: من جهة هذا الذي دينه. ومن جهة صاحب الدكان ويقولون: إن هذا صحيح بل يسمونه التصحيح يقول قائلهم: أصحح عليك؟ أو أصحح لك كذا وكذا؟ سبحان الله هل هذا تصحيح؟! هذا تلطيخ بالذنوب والعياذ بالله.

ولهذا يجب علينا إذا كنا صادقين مع الله سبحانه وتعالى في التوبة أن نقلع عن الذنوب والمعاصي إقلاعًا حقيقيًا ونكرهها ونندم على فعلها حتى تكون التوبة توبة نصوحا. وفي هذين الحديثين: دليل على أن نبينا محمد ﷺ أشد الناس عبادة لله وهو كذلك فإنه أخشانا لله وأتقانالله وأعلمنا بالله صلوات الله وسلامه عليه. وفيه دليل على أنه ﷺ معلم الخير بلسانه وفعاله. فكان يستغفر الله ويأمر الناس بالاستغفار حتى يتأسوا به امتثالاً للأمر واتباعًا للفعل. وهذا من كمال نصحه صلوات الله وسلامه عليه لأمته. فينبغي لنا نحن أيضًا أن نتأسى به إذا أمرنا الناس بأمر أن نكون أول من يمتثل هذا الأمر، وإذا نهيناهم عن شيء أن نكون أول من ينتهي عنه لأن هذا هو حقيقة الداعي إلى الله بل هذه حقيقة الدعوة إلى الله عز وجل أن تفعل ما تأمر به وتترك ما تنهى عنه، كما كان الرسول ﷺ يأمرنا بالتوبة وهو عليه الصلاة والسلام يتوب أكثر منا، نسأل الله أن يتوب علينا وعليكم وأن يهدينا وإياكم صراطًا مستقيمًا. والله الموفق.



الوصية الرابعة

الصدق

عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة. وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقًا. وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا**».

«متفق عليه»

قوله: «**عليكم بالصدق**» أي: الزموا الصدق، والصدق مطابقة الخبر للواقع وأن الصادق هو الذي له العاقبة، والكاذب هو الذي يكون عمله هباء. لهذا يذكر أن بعض العامة قال: إن الكذب ينجي، فقال له أخوه الصدق أنجى وأنجى. هذا صحيح. واعلم أن الكذب يكون باللسان، ويكون بالأركان.

أما باللسان: فهو القول، **وأما الأركان:** فهو الفعل. ولكن يكون الكذب بالفعل إذا فعل الإنسان خلاف ما يبطن فهذا قد كذب بفعله. فالمنافق مثلاً كاذب لأنه يظهر للناس أنه مؤمن يصلي مع الناس ويصوم مع الناس ويتصدق ولكنه بخيل وربما يحج، فمن رأى أفعاله حكم عليه بالصلاح، ولكن هذه الأفعال لا تنبئ عما في الباطن فهي كذب. ولهذا نقول: أن الصدق يكون باللسان وبالأركان. فمتى طابق الخبر الواقع فهو صدق وهذا باللسان، ومتى طابقت أعمال الجوارح ما في القلب فهي صدق وهذا صدق بالأقوال.

ثم بين النبي عليه الصلاة والسلام عندما أمر بالصدق بين عاقبتهم فقال: «**إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة**». **البر** : كثرة الخير ومنه من

أسماء الله البر أي كثير البر والإحسان عز وجل.

والبر من نتائج الصدق وقوله: «وإن البر يهدي إلى الجنة» فصاحب البر نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منه يهديه بره إلى الجنة والجنة غاية كل مطلب.

ولهذا يؤمر الإنسان أن يسأل الله الجنة ويستعيذ به من النار: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الغُرُورِ﴾ «آل عمران:١٨٥» وقوله: «إن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقًا». وفي رواية: «ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا». الصديق في المرتبة الثانية من الخلق الذين أنعم الله عليهم كما قال الله سبحانه: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الذينَ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ «النساء: ٦٩» فالرجل الذي يتحرى الصدق يكتب عند الله صديقًا ومعلوم أن الصديقية درجة عظيمة لا ينالها إلا أفذاذ من الناس.

وتكون في الرجال وتكون في النساء قال الله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ «المائدة: ٧٥». وأفضل الصديقين على الإطلاق أصدقهم وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه. عبد الله بن عثمان بن أبي قحافة الذي استجاب للنبي ﷺ حين دعاه إلى الإسلام ولم يحصل عنده أي تردد وأي توقف بمجرد ما دعاه الرسول إلى الإسلام أسلم وصدق النبي ﷺ حين كذبه قومه، وصدقه حين تحدث عن الإسراء والمعراج وكذبه الناس وقالوا: كيف تذهب يا محمد من مكة إلى بيت المقدس وترجع في ليلة واحدة ثم تقول إنك صعدت إلى السماء هذا لا يمكن.

ثم ذهبوا إلى أبي بكر وقالوا له: أما تسمع ما يقول صاحبك؟ قال: ماذا قال؟ قالوا: إنه قال كذا وكذا. قال: «إن كان قد قال ذلك فقد صدق». فمنذ ذلك اليوم سمي الصديق رضي الله عنه، وأما الكذب فإنه قال: «وإياكم والكذب»

«إياكـم» التحذير: أي احذروا الكذب وهو الإخبـار بما يخالف الواقع سواء كان بالقول أو بالفـعل. فإذا قال قـائل: ما اليـوم؟ فقلت اليوم يوم الخـميس أو يوم الثـلاثاء فكذب لأنه لا يطابق الواقع. لأن الـيوم الأربعـاء. والمنافق كـاذب لأن ظاهره يدل على أنه مسلم وهو كـافر فهو كاذب بـفعله وقوله: «وإن الكـذب يهـدي إلى الفجـور» الفجور: يعني الخروج عـن طاعة الله؛ لأن الإنسان يفسق ويتعدىٰ طوره ويخرج من طاعة الله إلى معصـيته، وأعظم الفجور: الكفر. فإن الكفرة فجرة كـما قال الله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ «عـبس: ٤٢» وقال تعـالى: ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَابٌ مَّرْقُومٌ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ «المطفـفين: ٧ـ١١» وقال تعـالى: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ «الانفطار: ١٤» فالـكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار وقوله: «وإن الرجل ليكذب» ـ وفي لفظ: «لا يزال الرجل يكذب ويتحرىٰ الكـذب حتىٰ يكتب عند الله كذابًا». والكـذب من الأمور المحـرمة بل قال بعض العلمـاء: إنه من كبـائر الذنوب لأن الرسول ﷺ توعده بأنه يكتب عند الله كذابا. ومن أعظم الكذب: ما يفعله الناس اليوم يأتي بالمقالة كاذبًا لكن من أجل أن يضحك الناس. وقـد جاء في الحديث الوعيدعلى هذا. فقال الرسول علـيه الصلاة والسلام: «ويل لمن حدث فكذب ليـضحك به القـوم ويل له ثـم ويل له». وهذا وعيـد على أمر سهل عند كثـير من الناس. فـالكذب كله حـرام. وكله يهـدي إلى الفجـور ولا يسـتثنى منه شيء ورد في الحديث أنه يسـتثنى من ذلك ثلاثة أشـياء: في الحـرب، والإصلاح بين الناس، وحـديث المرأة زوجهـا وحـديثـه إياها، ولكن بعض أهل العلم قـال: إن المراد بالكذب في هذا الحديث التورية وليس الكذب الصريح.

وقال: التورية قد تسمى كـذبًا كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيﷺ قـال: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كـذبات، ثنتين فـيـهن في ذات الله

تعالىٰ: قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣]، وواحدة في شأن سارة» الحديث. وهو لم يكذب وإنما ورىٰ تورية هو منها صادق، وسواء كان هذا أو هذا فإن الكذب لا يجوز إلا في هذه الثلاث علىٰ رأي كثير من أهل العلم. وأشد شيء في الكذب: أن يكذب ويحلف ليأكل أموال الناس بالباطل مثل أن يدعىٰ عليه بحق ثابت فينكر ويقول: والله مالك علي حق، أو يدعىٰ ما ليس له فيقول: لي عندك كذا وكذا وهو كاذب، فهذا إذا حلف علىٰ دعواه وكذب فإن ذلك هو اليمين الغموس التي تغمس صاحبها في الإثم ثم تغمسه في النار والعياذ بالله. وثبت عن النبي ﷺ قال: «من حلف علىٰ يمين صبر هو فيها فاجر يقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان». فالحاصل أن الكذب حرام ولا يجوز للإنسان أن يكذب مطلقًا إلا علىٰ المسائل الثلاث علىٰ الخلاف السابق.



الوصية الخامسة

الصبر

عن عطاء بن أبي رباح قال: قـال لي ابن عباس ﷺ ألا أريك امـرأة من أهل الجنة؟ فقلت: بلـى. قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فـقالت: إني أصرع وإني أتكشف فـادع الله تعالى لي قال: «**إن شئت صـبرت ولك الجنة. وإن شئت دعوت الله تعالى أن يعافيك**». فقالت: أصبر. فقالت: إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها». **«متفق عليه»**

قـوله: «**ألا أريك امـرأة من أهل الجنة**» يعرض عليـه وذلك لأن أهل الجنة ينقسمون إلى قسمين: قسم نشـهد لهم بالجنة بأوصافهم، وقسم نشهد لهم بالجنة بأعيانهم.

١- أما الذين نشهـد لهم بالجنة بأوصافهم فكل مؤمن لك متق فـإننا نشهد له أنه من أهل الجنة، كما قال سبحانه وتعالى في الجنة: ﴿**أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ «**آل عمران: ١٣٣**» وقال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا**﴾ «**البينة:٧، ٨**».

فكل مؤمن متق يـعمل الصالحات فإننا نشـهد أنه من أهل الجنة، ولكن لا نقول هـو فلان وفلان لأننـا لا ندري ما يخـتم له، ولا ندري هل باطنه كظاهره فلذلك لا نشهد له بعينه.

نقول مثـلاً: إذا مات رجل مشهود له بالخيـر قلنا نرجوا أن يكون من أهل الجنة. لكن ما نشهد أنه من أهل الجنة.

٢ـ قسم آخر نشهد له بعينه وهم الذين شهد لهم النبي ﷺ بأنهم في الجنة. مثل العشرة المبشرين بالجنة وهم: «أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وسعيد ابن زيد وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله وأبو عبيدة عامر بن الجراح والزبير بن العوام».

ومثل: ثابت بن قيس بن شماس ومثل سعد بن معاذ رضي الله عنه ومثل عبد الله ابن سلام ومثل بلال بن رباح وغيرهم ممن عينهم الرسول ﷺ هؤلاء نشهد لهم بأعيانهم نقول: نشهد بأن أبا بكر في الجنة ونشهد بأن عمر في الجنة وهكذا.

من ذلك هذه المرأة التي قال ابن عباس لتلميذه عطاء بن أبي رباح: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلىٰ! قال: هذه المرأة السوداء، امرأة سوداء لا قيمة لها في المجتمع. كانت تصرع وتتكشف، فأخبرت الرسول ﷺ وسألته أن يدعوا الله لها فقال لها: «**إن شئت دعوت الله وإن شئت صبرت ولك الجنة؟**»

قالت: أصبر. وإن كانت تتألم وتتأذىٰ من الصرع. لكنها صبرت من أجل أن تكون من أهل الجنة، ولكنها قالت: يا رسول الله! إني أتكشف فادع الله ألا أتكشف. فدعا الله ألا تتكشف فصارت تصرع ولا تتكشف.

والصرع ـ نعوذ بالله منه ـ نوعان:

١ـ صرع بسبب تشنج الأعصاب: وهذا مرض عضوي يمكن أن يعالج من قبل الأطباء بإعطاء العقاقير التى تسكنه أو تزيله بالمرة.

٢ـ وقسم آخر بسبب الشياطين والجن: يتسلط الجني علىٰ الإنسي فيصرعه ويدخل فيه ويضرب به علىٰ الأرض ويغمىٰ عليه من شدة الصرع ولا يحس.

ويتلبس الشيطان أو الجني بنفس الإنسان ويبدأ يتكلم علىٰ لسانه الذي يسمع الكلام يقول إن الذي يتكلم الإنسي. ولكنه الجني ولهذا تجد في بعض كلامه الاختلاف لا يكون ككلامه وهو مستيقظ لأنه يتغير نطق الجني.

هذا النوع من الصـرع ـ نسـأل الله أن يعيـذنا وإياكم منـه ومن غيـره من الآفات ـ، هذا النوع علاجه بالقراءة من أهل العلم والخير.

أحيانًا يخـاطبهم الجني ويتكلم معهم ويبين السـبب الذي جعله يصرع هذا الإنسي.

وأحيانًا لا يتكلم وقد ثـبت هذا!! أعني صرع الجني للإنسي بالقرآن والسنة والواقع. ففي القرآن قـال الله سبحانه: ﴿ **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ** ﴾ «**البقرة:٢٧٥**» وهذا دليل على أن الشيطان يتخبط الإنسان من المس وهو الصرع، وفي السنة: روى الإمام أحمد في مسنده: «**أن الرسول ﷺ كان في سفر من أسفار فمر بامرأة معها صبي يصرع فأتت به إلى النب ﷺ وخاطب الجني وتكلم معه وخـرج الجني فأعطت أم الصبي الرسول ﷺ هدية على ذلك**».

وكان أهل العلم أيضًـا يخاطبون الجني في المصروع ويتكلمـون معه ومنهم شيخ الإسـلام ابن تيمـية رحمـه الله. ذكر ابن القـيم وهو تلميـذه أنه جيء إليه برجل مصـروع فجعل يقـرأ عليه ويخاطبـه ويقول لها: اتق الله اخـرجي؛ لأنها امرأة، فتقـول له: إني أريد هذا الرجل وأحبه فقال لهـا: شيخ الإسلام لكنه لا يحـبك اخـرجي. قـالت: إني أريد أن أحج به قـال: هو لا يريد أن تحـجي به اخرجي فأبت فجـعل يقرأ عليها ويضرب الرجل ضربًا عظيـمًا حتى أن يد شيخ الإسلام أوجعته من شدة الضرب فقـالت الجنية: أنا أخرج كرامة للشيخ قال: لا تخرجي كرامة لي، اخرجي طاعة لله ورسوله فما زال حتى خرجت.

لما خرجت اسـتيقظ الرجل فـقال: ما الـذي جاء بي إلى حضـرة الشيخ؟ قالوا: سـبحان الله؟ أمـا أحسست بالضـرب الذي كان يضربك أشـد ما يكون؟ قال: ما أحسست بالضرب ولا أحسست بشيء. والأمثلة على هـذا كثيرة.

هذا النوع من الصرع لا علاج يدفعه ولا علاج يرفعه، فهو نوعان:

١ـ أما دفعه: فبأن يحرص الإنسان على الأوراد الشرعية الصباحية والمسائية وهي معروفة في كتب أهل العلم. منها: آية الكرسي فإن من قرأها في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح.

ومنها: سورة الإخلاص والفلق والناس ومنها: أحاديث عن الرسول ﷺ فليحرص الإنسان عليها صباحًا ومساءً فإن ذلك من أسباب دفع أذية الجن.

٢ـ وأما الرفع: فهو إذا وقع بالإنسان فإنه يقرأ عليه آيات من القرآن فيها تخويف وتذكير واستعاذة بالله عز وجل حتى يخرج.

الشاهد من هذا الحديث: قول الرسول ﷺ لهذه المرأة: «إن شئت صبرت ولك الجنة»، فقالت: أصبر. ففيه دليل على فضيلة الصبر وأنه سبب لدخول الجنة. والله الموفق.



الوصية السادسة

الاستقامة

عن أبي عمرو - وقيل أبي عمرة - سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله! قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا غيرك قال: « قل: آمنت بالله ثم استقم» .

«رواه مسلم»

يعني: قولاً يكون جامعًا واضحًا بينا لا أسأل أحدًا غيرك فيه، فقال له النبي ﷺ: «قل آمنت بالله. ثم استقم ». آمنت بالله هذا بالقلب، والاستقامه تكون بالعمل. فأعطاه النبي ﷺ كلمتين تتضمنان الدين كله فآمنت بالله يشمل إيمانًا بكل ما أخبر الله به عز وجل عن نفسه وعن اليوم الآخر وعن رسله وعن كل ما أرسل به. وتتضمن أيضًا الإنقياد. ولهذا قال: «ثم استقم ».

وهو مبني على الإيمان، ومن ثم أتى بـ«ثم » الدالة على الترتيب، والإستقامة ولزوم الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. ومتى بنى الإنسان حياته على هاتين الكلمتين فهو سعيد في الدنيا وفي الآخرة.

- **من فوائد هذا الحديث:**

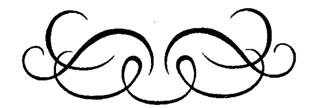
حرص الصحابة رضي الله عنهم على السؤال عما ينفعهم في دينهم ودنياهم. ومنها عقل أبي عمرو، أو أبي عمرة. حيث سأل هذا السؤال العظيم الذي فيه النهاية ويستغني عن سؤال أي أحد حيث قال: قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا غيرك.

ومنها أنه أجمع وصية وأنفع وصية ما تضمنه هذا الحديث. الإيمان بالله ثم الإستقامه على ذلك بقوله: «آمنت بالله. ثم استقم».

أن الإيمان بالله لا يكفي عن الاستقامه. بل لا بد من إيمان بالله واستقامة على دينه.

ومنها أن الدين الإسلامي مبني على هذين الأمرين.

الإيمان ومحله القلب والاستقامه ومحلها الجوارح، وإن كان للقلب منها نصيب، لكن الأصل أنها في الجوارح، والله أعلم.



الوصية السابعة

العفة

عن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله. دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس فقال: «**ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس**».

«رواه ابن ماجة وغيره»

عن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ ولم يبين اسم الرجل لأنه ليس هناك ضرورة إلى معرفته: إذا أن المقصود معرفة الحكم ومعرفة القضية. فقال: يارسول الله! دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس وهذا الطلب لا شك أنه مطلب عالى يطلب فيه هذا السائل ما يجلب محبة الله له وما يجلب محبة الناس له. فقال له النبي ﷺ: «**ازهد في الدنيا**» يعني: اترك في الدنيا مالا ينفعك في الآخرة وهذا يتضمن أنه يرغب في الآخرة؛ لأن الدنيا والآخرة ضرتان إذا زهد في إحداهما فهو راغب في الأخرى بل هذا يتضمن أن الإنسان يحرص على القيام بأعمال الآخرة من فعل الأوامر وترك النواهي، ويدع ما لا ينفعه في الآخرة من الأمور التي تضيع وقته ولا ينتفع بها، أما ما يكون سببًا لمحبة الناس فقال: "**وازهد فيما عند الناس يحبوك**" فلا يطلب من الناس شيئًا ولا يتشوق إليه ولا يستشرف له ويكون أبعد الناس عن ذلك حتى يحبه الناس؛ لأن الناس إذا سأل الإنسان ما في أيديهم استثقلوه وكرهوه. وإذا كان بعيدًا عن ذلك فإنهم يحبونه.

• ومن فوائد الحديث:

حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال النبي ﷺ فيما ينفعهم.

أن الإنسان بطبيعة الحال يحب أن يحبه الله وأن يحبه الناس. ويكره أن يمقته الله ويمقته الناس فبين النبي ﷺ ما يكون به ذلك.

أن من زهد في الدنيا أحبه الله؛ لأن الزهد في الدنيا يستلزم الرغبة في الآخرة. وقد سبق معنى الزهد وأنه ترك مالا ينفع في الآخرة.

أن الزهد فيما عند الناس سبب في محبة الناس لك.

أن الطمع في الدنيا والتعلق بها سبب لبغض الله للعبد، وأن الطمع فيما عند الناس والترقب له يوجب بغض الناس للإنسان. والزهد فيما في أيديهم هو أكبر أسباب محبتهم.



الوصية الثامنة

الزهد في الدنيا

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك.

«رواه البخاري»

عن ابن عمر قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي ـ يعني: أمسك بهما لأجل أن يسترعي انتباهه ليحفظ ما يقول ـ فقال له: **«كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»**، الغريب هو: المقيم في البلد وليس من أهلها، أو عابر سبيل: هو الذي مَرَّ بالبلد وهو ماشي مسافر، ومثل هؤلاء - أعني الغريب أو عابر السبيل - لا يتخذ هذا البلد موطنًا ومستقرًا؛ لأنه مسافر فأخذت هذه الموعظة من عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ما أخذت من قلبه؛ ولهذا كان يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، يعني: إذا أمسيت فلا تقل: سوف أبقى إلى الصباح، كم من إنسان أمسى ولم يصبح، وكذلك قوله: «وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء» فكم من إنسان أصبح ولم يمس، ومراد ابن عمر في ذلك: أن ينتهز الإنسان الفرصة للعمل الصالح حتى لا تضيع عليه الدنيا وهو لا يشعر، قال: «وخذ من صحتك لمرضك» يعني: بادر في الصحة قبل المرض فإن الإنسان مادام صحيحًا يسهل عليه العمل، لأنه صحيح منشرح الصدر منبسط النفس، والمريض يضيق صدره ولا تنبسط نفسه فلا يسهل عليه العمل.

"**ومن حياتك لموتك**" يعني: أي انتهز الحياة مادمت حيًا قبل أن تموت، لأن الإنسان إذا مات انقطع عـمله، صح ذلك عن النبي ﷺ حيث قال: "**إذا مـات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقـة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**".

«رواه مسلم»

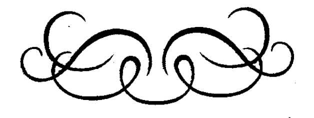
ومن فوائد هذا الحديث:

أنه ينبغي للإنسان ألا يجعل الدنيا مقر إقامته لقوله: "**كن في الدنيـا كأنك غريب أو عابر سبيل**".

أنه ينبغي للعاقل مادام باقيًا والصحة متوفرة أن يحرص على العمل قبل أن يموت فينقطع عمله.

ومنها أنه ينبغي أن للمعلم أن يفعل الأسباب التي يكون فيها انتباه المخاطب لأن النبي ﷺ أخذ بمنكبي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

فضيلة عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حيث تأثر بهذه الموعظة من رسول الله ﷺ.



الوصية التاسعة

النهي عن الغضب

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني، قال: «لا تغضب»، فردد مرارًا، قال: «لا تغضب».

«رواه البخاري»

لا تكن سريع الغضب يستثيرك كل شيء، بل كن مطمئنًا متأنيًا، لأن الغضب جمرة يلقيها الشيطان في قلب الإنسان حتى يغلي القلب ولهذا تنتفخ الأوداج - عروق الدم - وتحمر العين ثم ينفعل الإنسان حتى يفعل شيئًا يندم عليه.

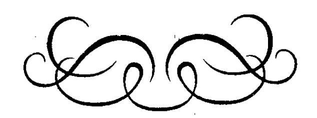
وإنما أوصى النبي ﷺ هذا الرجل ألا يغضب دون أن يوصيه بتقوى الله أو بالصلاة أو بالصيام أو ما أشبه ذلك؛ لأن حال هذا الرجل تقتضي ذلك ولهذا أوصى غيره بغير هذا الشيء، أوصى أبا هريرة أن يصوم ثلاثة أيام من كل شهر، وأن يوتر قبل أن ينام، وأوصى أبا الدرداء بمثل ذلك، أما هذا فأوصاه ألا يغضب، وأوصاه ألا يغضب، لأن النبي ﷺ علم من حاله أنه غضوب كثير الغضب، فلذلك قال: «لا تغضب».

والغضب يحمل الإنسان على أن يقول كلمة الكفر، أو أن يطلق زوجته أو أن يضرب أمه، أو أن يعق أباه، كما هو مشاهد ومعلوم، ثم تجد الإنسان من حين أن يتصرف يبرد ثم يندم ندمًا عظيمًا، وما أكثر الذين يسألون: غضبت على زوجتي فطلقتها ثلاثًا، وما أشبه ذلك.

فأنت لا تغـضب ، لا تغضب فإن الغـضب لا شك أنه يؤثر على الإنسان حتى يتصرف تصرف المجانين.

ولهذا قـال بعض العلماء: إن الإنســان إذا غضب غضـبًا شـديدًا حتى لا يدري ما يقـول، فإنه لا عبـرة بقوله، لا أثر لقـوله إن كان طلاقًا فـإن امرأته لا تطلق.

وإن كان دعـاءً فإنه لا يسـتجـاب، لأنه يتكلم بدون عقل وبـدون تصور. نسأل الله لنا وللمسلمين العافية والسلامة.



الوصية العاشرة

الإحسان على البنات

عن عائشة رضي الله عنها قالت: دَخَلَتْ عَلَيَّ امرأة ومعها ابنتان لها تسأل فلم تجد عندي شيئًا غير تمرة واحدة فأعطيتها إياها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها ثم قامت فخرجت، فدخل النبي ﷺ علينا فأخبرته فقال: «من ابتلى من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترًا من النار».

«متفق عليه».

ذكر عن عائشة رضي الله عنها قصة عجيبة غريبة، قالت: «دخلت علي امرأة ومعها ابنتان لها تسأل»، وذلك لأنها فقيرة، قالت: «فلم تجد عندي شيئًا إلا تمرة واحدة»، بيت من بيوت النبي ﷺ لا يوجد فيه إلا تمرة واحدة، قالت: «فأعطيتها إياها فقسمتها بين ابنتيها»، نصفين، وأعطت واحدة نصف التمرة وأعطت الأخرى نصف التمرة الآخر، «ولم تأكل منها شيئًا»، فدخل النبي ﷺ على عائشة فأخبرته بتلك القصة العجيبة الغريبة فقال النبي ﷺ: «من ابتلى من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترًا من النار».

وقوله ﷺ: «من ابتلى»، ليس المراد به هنا بلوى الشر، لكن المراد: من قدر له، كما قال الله تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾.

[الأنبياء: ٣٥].

يعني من قدر له ابنتان فأحسن إليهما كن له سترًا من النار يوم القيامة، يعني أن الله تعالى يحجبه عن النار بإحسانه إلى البنات؛ لأن البنت ضعيفة لا تستطيع التكسب والذي يكتسب هو الرجل قال الله تعالى: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ

عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ .

[النساء: ٣٤].

فالذي ينفق على العائلة ويكتسب هو الرجل، أما المرأة فإنما شأنها في البيت تقيمه وتصلحه لزوجها وتؤدب أولادها، وليست المرأة للوظائف والتكسب إلا عند الغرب الكفرة ومن كان على شاكلتهم، ممن اغتر بهم فقلدهم وجعل المرأة مثل الرجل في الاكتساب وفي التجارة وفي المكاتب، حتى صار الناس يختلطون بعضهم ببعض، وكلما كانت المرأة أجمل كانت أحظى بالوظيفة الراقية عند الغرب ومن شاكلهم ومن شابههم.

ونحن - ولله الحمد - في بلادنا هذه - نسأل الله أن يديم علينا هذه النعمة - قد منعت الحكومة حسب ما قرأنا من كتاباتها أن يستوظف النساء لا في القطاع العام ولا في القطاع الخاص إلا فيما يتعلق بالنساء، مثل مدارس البنات وشبهها لكن - نسأل الله الثبات وأن يزيدها من فضله - وأن يمنعها مما عليه الأمم اليوم هذا الاختلاط الضار.

ومما ورد في هذا الحديث من العبر :

أولاً : بيت من بيوت رسول الله ﷺ ومن أشرف بيوته، فيه أحب نسائه إليه لا يوجد به إلا تمرة واحدة، ونحن الآن في بلدنا هذا عند الأكل يقدم للإنسان عند الأكل خمسة أصناف شتى، فلماذا فتحت علينا الدنيا وأغلقت عليهم؟ ألكوننا أحب إلى الله منهم؟ لا والله.

هم أحب إلى الله منا، ولكن فضل الله يؤتيه من يشاء، ونحن ابتلينا بهذه النعم، فصارت هذه النعم عند كثير من الناس اليوم سببًا للشر والفساد والأشر والبطر ـ حتى فسقوا والعياذ بالله ـ ويخشى علينا من عقوبة الله عز وجل بسبب أن كثيرًا منا بطروا هذه النعم وكفروها وجعلوها عونًا على معاصي الله سبحانه

وتعالى، نسأل الله السلامة.

ثانيًا: وفيه أيضًا ما كان عليه الصحابة ﷺ من الإيثار.

فإن عائشة ﵂ ليس عندها إلا تمرة ومع ذلك آثرت بها هذه المسكينة ونحن الآن عندنا أموال كثيرة ويأتي السائل ونرده.

ولكن المشكلة في الحقيقة في رد السائل أن كثيرًا من السائلين كاذبون يسأل وهو أغنى من المسؤول، وكم من إنسان سأل ويسأل الناس ويلح في المسألة فإذا مات وجدت عنده دراهم الفضة والذهب الأحمر والأوراق الكثيرة من النقود، وهذا هو الذي يجعل الإنسان لا يشجع على إعطاء كل سائل، من أجل الكذب والخداع، حيث يظهرون بمظهر العجزة والمعتوهين والفقراء وهم كاذبون.

ثالثًا: وفي الحديث أيضًا من العبر أن الصحابة ﷺ يوجد فيهم الفقير كما يوجد فيهم الغني قال الله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾.

[الزخرف: ٣٢].

ولولا هذا التفاوت ما اتخذ بعضنا بعضًا سخريًا، ولو كنا على حد سواء واحتاج الإنسان منا مثلاً لعمل ما كالبناء، فجاء إلى الآخر فقال: أريدك أن تبني لي بيتًا، فقال: ما أبني، أنا مثلك، أنا غني، فإذا أردنا أن نصنع بابًا، قال الآخر: ما أصنع، أنا غني مثلك، فهذا التفاوت جعل الناس يخدم بعضهم بعضًا.

الناس للناس من بدو وحاضرة ∴ بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

حتى التاجر الغني صاحب المليارات يخدم الفقير، وكيف؟ يورد الأطعمة والأشربة والأكسية ومواد البناء وغيرها، يجلبها للفقير فينتفع بها، فكل الناس

بعضهم يحتاج لبعض، ويخدم بعضهم بعضًا، ذلك حكمة من الله عز وجل.

رابعًا: وفي هذا الحديث أيضًا: دليل على فضل من أحسن إلى البنات بالمال والكسوة وطيب الخاطر، ومراعاة أنفسهن، لأنهن عاجزات قاصرات.

خامسًا: وفيه: ما أشرنا إليه أولاً من أن الذي يكلف بالنفقة وينفق هم الرجال، أما النساء فللبيوت ولمصالح البيوت، وكذلك للمصالح التي لا يقوم بها إلا النساء كمدارس البنات.

أما أن يجعلن موظفات مع الرجال في مكتب واحد، أو سكرتيرات كما يوجد في كثير من بلاد المسلمين، فإن هذا لا شك خطأ عظيم وشر عظيم، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: «خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها».

«رواه مسلم».

وذلك لأن أولها قريب من الرجال فصار شرًا وآخرها بعيد عن الرجال فصار خيرًا، فانظر كيف ندب للمرأة أن تتأخر وتبتعد عن الإمام كل ذلك من أجل البعد عن الرجل.

نسأل الله أن يحمينا وإخواننا من أسباب سخطه وعقابه.



الوصية الحادية عشر

المحافظة على السنة

عن أبي نَجيح العِرْبَاضِ بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال: **«أوصيكم بتقوىٰ الله عز وجل والسمع والطاعة وإن تَأَمَّر عليكم عَبْدٌ فإنه من يعش منكم فسيرىٰ اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة**

«رواه أبو داود والترمذي».

قوله: «فوعظنا» الوعظ: هو التذكير المقرون بالترغيب أو الترهيب وكان النبي ﷺ يتخول أصحابه بالموعظة ولا يكثر عليهم مخافة السآمة، قوله: «وجلت منها القلوب» أي: خافت.

«وذرفت منها العيون» أي بكت حتىٰ ذرفت دموعها، «فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا»، لأن موعظة المودع تكون موعظة بالغة قوية فأوصنا قال: **«أوصيكم بتقوىٰ الله عز وجل »**، وهذا من فقه الصحابة رضي الله عنهم أنهم استغلوا هذه الفرصة ليوصيهم النبي ﷺ بما فيه الخير، قال **«أوصيكم بتقوىٰ الله عز وجل »**، وتقوىٰ الله اتخاذ وقاية من عقابه بفعل أوامره واجتناب نواهيه، وهذا حق الله عز وجل.

«والسمع والطاعة»، يعني لولاة الأمور. أي: اسمعوا ما يقولون وما به يأمرون واجتنبوا ما عنه ينهون، **«وإن تأمر عليكم عبد »** يعني وإن كان الأمير عبدًا

فاسمعوا له وأطيعوه وهذا هو مقتضى عموم الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾

[النساء: ٥٩].

قوله: « **فإنه من يعيش منكم**»، أي: من تطول حياته فسيرى اختلافًا كثيرًا ووقع ذلك كما أخبر النبي ﷺ، فقد حصل الاختلاف الكثير في زمن بقية الصحابة رضي الله عنهم ثم أمر ﷺ بأن نلتزم بسنته أي بطريقته وطريقة الخلفاء الراشدين المهديين والخلفاء الذين خلفوا النبي ﷺ في أمته علمًا وعبادة ودعوة وعلى رأسهم الخلفاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم.

«**المهديين**» وصف كاشف، لأن كل راشد فهو مهدي، ومعنى المهديين: الذين هُدوا أي هداهم الله عز وجل لطريق الحق، « **عضوا عليها بالنواجذ**»، وهي أقصى الأضراس وهو كناية عن شدة التمسك بها، ثم حذر النبي ﷺ من محدثات الأمور فقال: « **إياكم**»، أي: أحذركم من محدثات الأمور وهي ما أحدث في الدين بلا دليل شرعي وذلك أنه لما أمر بلزوم السنة حذر من البدعة، وقال: « **فإن كل بدعة ضلالة**».

«**رواه أبو داود والترمذي**».

حرص النبي ﷺ على موعظة أصحابه، حيث يأتي بالمواعظ المؤثرة التي توجل منها القلوب وتذرف منها العيون.

ومنها: أن الإنسان المودع الذي يريد أن يغادر إخوانه ينبغي له أن يعظهم موعظة تكون ذكرى لهم موعظة بليغة لأن المواعظ عند الوداع لا تنسى.

ومنها: الوصية بتقوى الله عز وجل، فهذه الوصية هي وصية الله في الأولين والآخرين، لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ

وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾.

[النساء: ١٣١].

ومنها: الوصية بالسمع والطاعة لولاة الأمر وقد أمر الله بذلك في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾.

[النساء: ٥٩].

وهذا الأمر مشروط بأن لا يؤمر بمعصية الله، فإن أمر بمعصية فلا سمع لهم ولا طاعة في معصية الله لقول النبي ﷺ: «إنما الطاعة في المعروف».

ومن هنا تبين الفائدة في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾، حيث لم يعد الفعل عند ذكر طاعة أولياء الأمور بل جعلها تابعة لطاعة الله ورسوله.

ومن فوائد هذا الحديث:

حرص النبي ﷺ على موعظة أصحابه كما أنه حريص على أن يعظهم أحيانًا بتبليغهم الشرع، فهو أيضًا يعظهم مواعظ ترقق القلوب وتؤثر فيها.

أنه ينبغي للواعظ أن يأتي بموعظة مؤثرة في الأسلوب وكيفية الإلقاء، ولكن بشرط ألا يأتي بأحاديث موضوعة؛ لأن بعض الوعاظ يأتي بالأحاديث الضعيفة والموضوعة يزعم بأنها تفيد في تحريك القلوب، ولكنها إن أفادت في هذا تضر، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين».

«رواه مسلم».

أن العادة إذا أراد أن يفارق أصحابه وإخوانه فإنه يعظهم موعظة بليغة

لقوله: «كأنها موعظة مودع».

طلب الوصية من أصحاب العلم:

أنه لا وصية أفضل ولا أكمل من الوصية بتقوى الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾.

[النساء: ١٣١].

وتقوى الله سبق شرحها، الوصية بالسمع والطاعة لولاة الأمور وإن كانوا عبيدًا لقوله ﷺ: «والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد»؛ لأن السمع والطاعة لهم تنتفي به شرور كثيرة وفوضى عظيمة.

ظهور آية من آيات الرسول ﷺ حيث قال: «من يعيش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا».

والذين عاشوا من الصحابة رأوا اختلافًا كثيرًا كما يعلم ذلك من التاريخ.

لزوم التمسك بسنة الرسول عليه الصلاة والسلام لا سيما عند الاختلاف والتفرق، ولهذا قال: «فعليكم بسنتي».

أنه ينبغي التمسك الشديد حتى يعض عليها بالنواجذ، لئلا تفلت من الإنسان.

التحذير من محدثات الأمور: والمراد بها المحدثات في الدين، وأما ما يحدث في الدنيا فينظر فيه إذا كان فيه مصلحة فلا تحذير منه، أما ما يحصل في أمور الدين فإنه يجب الحذر منه لما فيه التفرق في دين الله، والتشتت وتضييع الأمة بعضها بعضًا.

أن كل بدعة ضلالة، وأنه ليس في البدع ما هو مستحسن كما زعمه بعض العلماء، بل كل البدع ضلالة فمن ظن أن بدعة من البدع حسنة فإنها لا تخلو

من أحد أمرين: إما أنها ليست بدعة وظنها هو أنها بدعة، وإما أنها ليست حسنة وظن هو أنها حسنة، وإما أن تكون بدعة وحسنة فهذا مستحيل، لقول النبي ﷺ: « **فإن كل بدعة ضلالة** ».



الوصية الثانية عشر

اجتناب البدع

عن أم المؤمنين أم عبد الله عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هـٰذا ما ليس منه فهو رد».

«رواه البخاري ومسلم».

وفي رواية لمسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد».

هـٰذا الحديث قال العلماء فيه: إنه ميزان ظاهر الأعمال وحديث عمر: «إنما **الأعمال بالنيات**»، ميزان باطن الأعمال؛ لأن العمل له نية وله صورة، فالصورة هي ظاهر العمل، والنية باطن العمل.

وفي هذا الحديث فوائد:

أن من أحدث في هـٰذا الأمر - أي الإسلام - ما ليس منه فهو مردود عليه ولو كان حسن النية، وينبني على هـٰذه الفائدة أن جميع البدع مردودة على صاحبها ولو حسنت نيته.

أن من عمل عملاً صالحًا ولو كان أصله مشروعًا ولكن عمله على غير ذلك الوجه الذي أمر به فإنه يكون مردودًا بناءً على الرواية الثانية في مسلم وعلى هـٰذا فمن باع بيعًا محرمًا فبيعه باطل، ومن صلى صلاة تطوع لغير سبب في وقت النهي فصلاته باطلة، ومن صام يوم العيد فصومه باطل وهلم جرًا، لأن هـٰذه كلها ليس عليها أمر الله ورسوله فتكون باطلة مردودة.



الوصية الثالثة عشر

الاقتصاد في العبادة

عـن أنـس ﷺ: دخل النبي ﷺ المسجـد فإذا حبـل ممدود بين الساريتين فقال: «ما هذا الحبل؟» قال: هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت به. فقال النبي ﷺ: «حلوه ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فلير قد».

«متفق عليه»

نقل أنس بن مـالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه دخل المـسجـد يعني المسجد النبوي. فإذا حبل مربوط بين ساريتين. أي بين عمودين فقال: «ما هذا؟» قـالوا: هذا حبل لزينب. تـربطه فإذا تعـبت من الصـلاة تعلقت به من أجل أن تنشط. فقال النبي ﷺ: «حلوه» أي: أخروه وأزيلوه، ثم قال: «ليصل أحدكم نشاطه فإذا تعب فليرقد».

ففي هذا: دليل على أنه لا ينبغي للإنسان أن يتـعمق وأن يتنطع في العبادة وأن يكلف نفسه مالا تطيق. وأن يصلي ما دام نـشيطًا. فإذا تعب فليرقد ولينم. لأنه إذا صلى مع التعب تشوش فكره وسـئم ومل وربما كره العبادة. وربما ذهب ليدعوا لنفسـه فإذا به يدعوا عليها. فلو سجـد وأصابه النعاس ربما أراد أن يقول رب اغفـر لي قال: رب لا تـغفر لـي؛ لأنه نائم فلهذا أمـر النبي ﷺ بحل هذا الحبـل وأمرنا أن يصلي الإنسـان نشاطه. فـإذا تعب فليرقـد. وهذا وإن ورد في الصلاة فإنه يشمل جـميع الأعمال فلا تكلف نفسك مـالا تطيق بل عامل نفسك بالرفق واللين. ولا تتعجل في الأمور. فالأمـور ربما تتأخر لحكمة يريدها الله عز وجل ولا تقل: إني أريد أن أتعب نفسي. بـل انتظر وأعط نفسك حقهـا ثم بعد

ذلك يحصل لك المقصود، ومن ذلك أيضًا ما يفعله بعض الطلبة حيث يطالع في دروسه وهو نعسان فيتعب نفسه ولا يحصل شيئًا. لأن الذي يراجع وهو نعسان لا يستفيد.

وإن ظن أنه يستفيد فإنه لا شيء. ولهذا ينبغي على الإنسان إذا أصابه النعاس وهو يراجع كتبًا منهجية أو غير ذلك، ينبغي له أن يغلق الكتاب وأن ينام ويستريح. وهذا يعم جميع الأوقات حتى ولو بعد صلاة الفجر أو بعد صلاة العصر طالما أراد أن يرقد ويستريح فلا حرج. فكلما أتاك النوم فنم وكلما صرت نشيطًا فاعمل ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ «الشرح: ٧، ٨». كل الأمور اجعلها بالتيسير إلا ما فرض الله عليك. فلا بد أن يكون في الوقت المحدد له. وأما الأمور التطوعية فالأمر فيها واسع. فلا تتعب نفسك في شيء



الوصية الرابعة عشر

ترك ما لا يعني الانسان

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه**».

«رواه الترمذي وغيره»

إسلام المرء: هو استسلامه لله عز وجل ظاهرًا وباطنًا. فأما باطنًا فاستسلام العبد لربه بإصلاح عقيدته وإصلاح قلبه. وذلك بأن يكون مؤمنًا بكل ما يجب الإيمان به على ما سبق في حديث جبريل.

وأما الاستسلام ظاهرًا فهو إصلاح عمله الظاهر كأقواله بلسانه وأفعاله بجوارحه.

والناس يختلفون في الإسلام اختلافًا ظاهرًا كثيرًا كما أن الناس يختلفون في أشكالهم وصورهم منهم الطويل ومنهم القصير ومنهم الضخم ومنهم من هم دون ذلك ومنهم القبيح ومنهم الجميل فيختلفون اختلافًا ظاهرًا.

فكذلك يختلفون في إسلامهم لله عز وجل حتى قال الله في كتابه: ﴿**لا يَسْتَوِي منكُم مَّنْ أَنفَقَ من قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ**﴾ «**الحديد: ١٠**» وإذا كان الناس يختلفون في الإسلام فإن مما يزيد في حسن إسلام المرء أن يدع مالا يعنيه. فمثلاً: إذا كان هناك عمل وترددت هل تفعل أو لا تفعل. انظر هل هو من الأمور الهامة في دينك ودنياك. فافعله وإلا فاتركه السلامة أسلم.

كذلك أيضًا ما تتدخل في أمور الناس إذا كان هذا لا يهمك وهذا خلاف

ما يفعله بعض الناس اليوم من حرصه على اطلاعه على أعراض الناس وأحوالهم، ويجد اثنين يتكلمان فيحاول أن يتقرب منهما حتى يسمع ما يقولان، ويجد شخصًا جاء من جهة من الجهات فتراه يبعث وربما يبادر الشخص نفسه ويقول له: من أين جئت؟ وماذا قال لك فلان وماذا قلت له؟ وما أشبهه في أمور لا تعنيه ولا تهمه.

فالأمور التي لا تعنيك اتركها. فإن هذا من حسن إسلامك وهو أيضًا فيه راحة للإنسان. فكون الإنسان لا يهمه إلا نفسه هذا هو الراحة، أما الذي يتتبع أحوال الناس فإنه سوف يتعب تعبًا عظيمًا ويفوت على نفسه خيرًا كثيرًا مع أنه لا يستفيد شيئًا.

فأنت اجعل دأبك نفسك وهمك هم نفسك. وانظر إلى ما ينفعك فافعله والذي لا ينفعك اتركه وليس من حسن إسلامك أن تبحث عن أشياء لا تهمك.

ولو أننا مشينا على هذا وصار الإنسان دأبه دأب نفسه ولا ينظر إلى غيره لحصل خيرًا كثيرًا. أما بعض الناس تجده مشغولاً بشؤون غيره فيما لا فائدة فيه فيضيع أوقاته ويشغل قلبه ويشتت فكره وتضيع عليه مصالح كثيرة. وتجد الرجل الدؤوب الذي ليس له هم إلا نفسه وما يعنيه تجده ينتج ويثمر ويحصل، ويكون في راحة فكرية وقلبية وبدنية ولذا يعد هذا الحديث من جوامع كلم النبي ﷺ فإذا أردت شيئًا فعلاً أو تركًا انظر هل يهمك أولاً؟

إن كان لا يهمك اتركه واسترح منه. وإن كان يهمك فاشتغل به بحسبه، فعلى كل حال. كل إنسان عاقل كما جاء في حديث: **الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت**». وهو حديث ضعيف فكل إنسان عاقل يحرص أن يعمل لما بعد الموت ويحاسب نفسه على أعمالها. والله الموفق.

الوصية الخامسة عشر

التحلل من المظالم

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « من كانت عنده مظلمة لأخيه. من عرضه أو من شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم. إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته. وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه» .

«رواه البخاري»

قول النبي ﷺ: «من كان عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو غيره فليتحلله منه اليوم - يعني في الدنيا - قبل ألا يكون دينار ولا درهم» وذلك يوم القيامة فإنه في الدنيا يمكن أن يتحلل الإنسان من المظالم التي عليه بأدائها إلى أهلها. أو استحلالهم منها. لكن في الآخرة ليس هناك شيء إلا الأعمال الصالحة، فإذا كان يوم القيامة اقتص من المظالم للمظلوم من حسناته. يؤخذ من حسناته التي هي رأس ماله في ذلك اليوم فإن بقي منه شيء وإلا أخذ من سيئات المظلوم وحملت على الظالم والعياذ بالله. فازداد بذلك سيئات إلى سيئاته. وظاهر هذا الحديث أنه يجب على الإنسان أن يتحلل من ظلم أخيه حتى في العرض سواء علم أم لم يعلم. وذلك أن المظالم إما أن تكون بالنفس أو بالمال أو بالعرض. لقول النبي ﷺ: «إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم» .

«متفق عليه»

فإن كانت بالنفس مثل أن يكون قد جنى عليه أو ضربه حتى جرحه، أو قطع عضواً من أعضائه أو قتل له قتيلاً. فإنه يتحلل منه بأن يمكن صاحب الحق

من القصاص. أو من بذل الذمة. إذا لم يكن القصاص أو اختيرت الدية.

أما إن كانت في المال فإنه يعطيه مـاله. إذا كان عنده مال لأحد. فالواجب أن يعطيه صـاحبه. فـإن غاب عنه ولم يعـرف مكانه وأيس منه فإنه يتـصدق به عنه. والله سـبحـانه وتعالىٰ يعلم ويؤدي إلىٰ صـاحب الحق حـقه وإن كـان قد مات. أي: صاحب الحق فإنه يوصله إلىٰ ورثـته؛ لأن المال بعد الموت ينتقل إلىٰ الورثة، فـلا بد أن يسلمه للـورثة، فإن لم يعلمـهم بأن جـهلهم ولم يدر عنهم تصدق به عنهم والله تعالىٰ يعلمهم ويعطيهم حقهم.

أما إن كـانت في العرض مـثل أن يكون قد سب شخـصًا في مـجالس أو اغتابه. فـلا بد أن يتحلل منه إذا كان قد علم بأنه سب. فيـذهب إليه. ويقول: أنا فعلت كذا وفعلت كذا. وأنا جئتك معـتذرًا فإن عذره فهذا من نعمة الله علىٰ الجميع.

لأن الله يقـــــول: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ . «الشـورى: ٤٠» وإن لم يعف عنه فليعطه مالاً يشـبعه من المال حتىٰ يحلله. فـإن أبىٰ فإن الله تعالىٰ إذا علم أن تـوبة الظالم توبة حقيـقيـة. فإن الله سبحانه وتعالىٰ يرضي المظلوم يوم القيامة.

وقال بعض العلماء في مسألة العرض:

إن كان المظلوم لـم يعلم فلا حاجـة أن يعلمه مـثل أن يكون قد سـبه في مجلس من المجـالس. وتاب فإنه لا حاجة أن يعلمـه. ولكن يستغفـر له ويدعو له. ويثني عليه بالخير في المجالس التي كان يسبه فيها وبذلك يتحلل منه.

والمهم أن الأمر خطيـر وحقوق الناس لا بد أن تعطىٰ لهم. إمـا في الدنيا وإما في الآخرة.

الوصية السادسة عشر

أداء فرائض الله

عن أبي ثعلبة الخشني جرثوم بن ناشر رضي الله عنه قال: «إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدوداً فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها. وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها».

«رواه الدارقطني»

قوله ﷺ: «إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها» أي: أوجب إيجابًا حتميًا على عباده فرائض معلومة ولله الحمد كالصلوات الخمس والزكاة والصيام والحج وبر الوالدين وصلة الأرحام وغير ذلك.

«فلا تضيعوها»: أي لا يهملوها إما بترك أو بالتهاون أو ببخسها أو نقصها.

«وحد حدودًا». أي: أوجب واجبات وحددها بشروط وقيود.

«فلا تعتدوها». أي لا تتجاوزوها. «وحرم أشياء فلا تنتهكوها» حرم أشياء مثل الشرك وعقوق الوالدين وقتل النفس التي حرمها الله إلا بالحق والخمر والسرقة وأشياء كثيرة.

«فلا تنتهكوها»: أي: فلا تقعوا فيها. فإن وقوعكم فيها انتهاك لها. «وسكت عن أشياء»: أي: لم يفرضها ولم يوجبها ولم يحرمها «رحمة بكم»، من أجل الرحمة والتخفيف عليكم. «غير نسيان»: فإن الله تعالى لا ينسى كما قال موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنسَى﴾. «طه: ٥٢». فهو تركها جل وعلا رحمة بالخلق ليس نسيان لها. «فلا تسألوا عنها»: أي: لا تبحثوا عنها.

من فوائد هذا الحديث:

حسن بيان الرسول ﷺ حيث ساق الحديث بهذا التقسيم الواضح البين. أن الله تعالى فرض على عباده فرائض أوجبها عليهم على الحتم واليقين والفرائض. قال أهل العلم: إنها تنقسم إلى قسمين: فرض كفاية وفرض عين. فأما فرض الكفاية: فإنه ما قصد فعله بقطع النظر عن فاعله وحكمه إنه إذا قام من يكفي سقط عن الباقين. وفرض العين هو: ما قصد به الفعل والفاعل ووجب على كل أحد بعينه فأما الأول: فمثله الأذان والإقامة وصلاة الجنازة وغيرها.

وأما الثاني: فمثل الصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج.

وقوله: «وحد حدوداً»: أي: أوجب واجبات محددة ومعينة بشروطها. أنه لا يجوز للإنسان أن يتعدى حدود الله، ويتفرع من هذه الفائدة أنه لا يجوز المغالاة في دين الله ولهذا أنكر النبي ﷺ على الذين قال أحدهم: أنا أصوم ولا أفطر. وقال الثاني: أنا أقوم ولا أنام. وقال الثالث: أنا لا أتزوج النساء أنكر عليهم وقال: «وأما أنا فأصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني».

«رواه البخاري»

تحريم انتهاك المحرمات لقوله: «فلا تنتهكوها». ثم إن المحرمات نوعان: كبائر وصغائر: فالكبائر: لا تغفر إلا بالتوبة. والصغائر: تكفرها الصلاة والحج والذكر وما أشبه ذلك. أن ما سكت الله عنه فهو عفو. فإذا أشكل علينا حكم الشيء هل هو واجب أم ليس بواجب ولم نجد له أصلاً في الوجوب فهو مما عفا الله عنه. وإذا شككنا هل هذا حرام أم ليس حراماً ليس أصله التحريم. كان هذا أيضاً مما عفا الله عنه.

انتفـاء النسيان عن الله عـز وجل. وهذا يدل على كمال علمـه أن الله عز وجل بكل شيء عليم فـلا ينسى ما عـلم ولم يسبق علمـه جهـلاً. بل هو بكل شيء عليم أزلاً وأبدًا.

أنه لا ينبغي في البحـث والسؤال إلا ما دعت إليه الحاجـة. وهذا في عهد النبي ﷺ. لأنه عهد التـشريع ويخشى أن أحدًا يسأل عن شيء لم يجب فيـوجبه من أجل مسـألته، أو لم يحرم فيـحرم من أجل مسألتـه، ولهذا نهى النبي ﷺ عن البحث عنها فقال: «فلا تبحثوا عنها».



الوصية السابعة عشر

فضل الوضوء

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أمتي يدعون يوم القيامة غرًا محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل».

«متفق عليه»

يعني أن هذه الأمة أمة محمد ﷺ تدعى يوم القيامة غرًا محجلين.

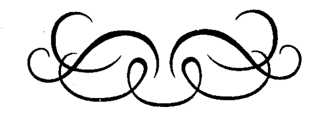
الغرة: بياض الوجه. والتحجيل: بياض الأطراف. أطراف اليدين وأطراف الرجلين.

يعني أن هذه المواضع تكون نورًا يتلألأ يوم القيامة لهذه الأمة وهذه خاصة بنا ولله الحمد. كما قال النبي ﷺ: «**سيما ليست لغيركم**». يعني: علامة تتبين بها أمة محمد في هذا اليوم المشهور. وهذا دليل على فضل الوضوء. وأن أعضاء الوضوء تأتي بيضاء يوم القيامة تلوح من النور. يقول: « فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل» هذه الجملة ليست من كلام النبي ﷺ بل هي من كلام أبي هريرة رضي الله عنه وليست بصحيحة من جهة الحكم الشرعي؛ لأن ظاهرها أن الإنسان يمكنه أن يطيل غرته يعني: يطيل وجهه وهذا غير ممكن. فالوجه محدد من الأذن إلى الأذن. ومن منحني الجبهة إلى أسفل اللحية. وهذا مما يدل على أن هذه الجملة من كلام أبي هريرة رضي الله عنه قالها اجتهادًا كما أشار إلى ذلك ابن القيم في النونية قال:

وأبو هريرة قال ذامن كيسه .·. فغدا يميزه أولو العرفان

وإطالة الغرات ليس بممكن ∴. أيضًا وهذا واضح التبيان

لكن على كل حال ما فرضه الله علينا أن نغسل الوجوه والأيدي إلى المرافق والأرجل إلى الكعبين. هذا هو منتهى الوضوء وكفى فخرًا أن يأتي الناس يوم القيامة وهذه المواضع تتلألأ نورًا من أجسادهم من أثر الوضوء. ففي هذا دليل على فضيلة الوضوء وعلى إثبات البعث، وأن الأمم يوم القيامة تأتي كل أمة تدعى إلى كتابها. هل صدقت كتابها أم لم تصدق؟



الوصية الثامنة عشر

تسوية الصفوف

عن أبي عبد الله النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم».

«متفق عليه»

وفي رواية لمسلم: كان رسول الله ﷺ يسوى صفوفنا حتى كأنما يسوى بها القداح حتى إذا رأى أنا قد عقلنا عنه ثم خرج يومًا فقام حتى كاد أن يكبر. فرأى رجلاً باديًا صدره فقال: « عباد الله لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم».

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما. أن النبي ﷺ قال: « لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم». الجملة الأولى: مؤكدة بثلاث مؤكدات. بالقسم المقدر. واللام «لتسون». ونون التوكيد. « أو ليخالفن الله بين وجوهكم» يعني: إن لم تسون الصفوف خالف الله بين وجوهكم. وهذه الجملة أيضًا مؤكدة بثلاث مؤكدات بالقسم، واللام والنون.

واختلف العلماء رحمهم الله في معنى مخالفة الوجه، فقال بعضهم: إن المعنى أن الله يخالف بين وجوههم مخالفة حسية بحيث يلوي الرقبة. حتى يكون وجه هذا مخالف لوجه هذا. والله على كل شيء قدير. فهو عز وجل قلب بعض بني آدم قردة. قال لهم: ﴿كُونُوا قِرَدَةً﴾. فكانوا قردة، فهو قادر أن يلوي رقبة إنسان حتى يكون وجهه من عند ظهره وهذه عقوبة حسية. وقال بعض العلماء: المراد بالمخالفة المعنوية. يعني مخالفة القلوب لأن القلب له اتجاه.

فإذا اتفقت القلوب على وجـهة واحدة حصل في هذا الخير الكثـير وإذا اختلفت تفرقت الأمة. فالمراد بالمخالفة مخـالفة القلوب. وهذا التفسير أصح لأنه قد ورد في بعض الألفاظ: « **أو ليخالفن الله بين قلوبكم**» وعلى هذا فيكون المراد بقوله: «**أو ليـخالفن الله بين وجـوهكم**». أي: بين وجهـات نظركم. وذلك باخـتلاف القلوب. وعلى كل حـال فـفي هذا دليل على وجـوب تسويـة الصفـوف. وأنه يجب على المأمورين أن تسوى صفوفهم. وأنهم إن لم يفعلوا ذلك. فقد عرضوا أنفسهم لعقوبة الله ـ والعـياذ بالله ـ، وهذا القول ـ أعني وجوب تسوية الصف ـ هو الصـحيح. والواجب عـلى الأئمة أن ينظروا في الـصف. فإذا وجـدوا فيـه اعوجاجًا أو تقدمًا أو تأخرًا. نبهوا على ذلك. وكان النبي ﷺ أحيانًا يمشي على الصفوف ويسويها بيـده الكريمة عليه الصلاة والسلام من أول الصف لآخره. ولما كـثر الناس في زمن الخلفـاء أمر عـمـر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً يسـوي الصفوف إذا أقيمت الصلاة فإذا جاء وقال: إنها قد استوت كبر للصلاة. وكذلك فعل عثمان بن عفان رضي الله عنه كان قد وكل رجلاً يسوي صفوف الناس فإذا جاء وقـال: قد استوت كـبر وهذا يدل على اعتناء النبي ﷺ والخلفـاء الراشدين بتسوية الصف.

ولكن ـ مع الأسف ـ الآن تجد المأمـورين لا يبالون بالتـسوية يتقـدم إنسان ويتأخـر إنسان ولا يبالي. وربما تكـون مستويًـا مع أخيه في أول الركـعة ثم عند السجود يحصل من الاندفاع تقدم أو تأخر ولا يساوون الصف في الركعة الثانية. بل يبنون على ما هم عليه. وهذا خطـأ. فالمهم أنه يجب تسوية الصف فإذا قال قائل: إذا كان هناك إمام ومأموم فقط. فهل يتقدم الإمام قليلاً أو يساوي المأموم؟ الجواب: أنه يساوي المأمـوم لأنه إذا كان إمام ومأمـوم فالصف واحد لا يمكن أن يكون الإمام خلف المأمـوم وحده. بل هم صف واحد. والصف الواحـد يسوى فيـه خلافًـا لما قاله بعض أهل العلم: إنه يتـقدم الإمام قلـيلاً. لأن هذا لا دليل

عليه. بل الدليل على خلافه. وهو أن يسوى بين الإمام والمأموم إذا كانا اثنين، ثم قال في رواية: كان النبي ﷺ يسوى صفوفنا كأنما يسوى بها القداح. والقداح: هي ريش السهم. وكانوا يسوونها تمامًا. بحيث لا يتقدم شيء على شيء مثل مشط البندق يكون مستويًا. فكان يسوى الصفوف كأنما يسوى بها القداح. حتى إذا رأى أنا قد عقلنا عنه يعني فهمنا وعرفنا أن التسوية لا بد منها. خرج ذات يوم فرأى رجلاً باديًا صدره. فقال: «عباد الله لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم». فدل هذا على سبب قول الرسول ﷺ: «لتسون صفوفكم» لأن سببه التسوية أنه إذا رأى رجلاً باديًا صدره فقط. يعني ظاهرًا صدره قليلاً من على الصف. فدل ذلك على أنه من هدي النبي ﷺ أنه يتفقد الصف. وأن يتوعد من يتقدم على الصف بهذا الوعيد: «لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم». فعلينا أن نبين هذه المسألة لأئمة المساجد وكذلك للمأمومين حتى ينتبهوا لهذا الأمر الخطير ويعتنوا بشأن تسوية الصفوف.



الوصية التاسعة عشر

فضل صلاة الجماعة

عن أبي الدرداء ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية».

«رواه أبو داود بإسناد حسن»

«ما من ثلاثة في قرية ولا بدو»، يعني: ولا بادية، «لا تقام فيهم الجماعة إلا استحوذ عليهم الشيطان»، يعني: معنى ذلك: أنه إذا كان ثلاثة في قرية أو في بادية لا تقام فيهم صلاة الجماعة - ولا الجمعة - إلا استحوذ عليهم الشيطان، فدل ذلك على أنه لا يجوز ترك الجماعة، ولكن هذا الحديث يفيد أنه لا يجوز إذا كانوا ثلاثة فأكثر، لكن هناك أحاديث أخرى تدل على أن الجماعة تجب إذا كانا اثنين فأكثر، أما في الجمعة فلا تجب إذا كانوا ثلاثة فأكثر في غير البرية، أما البادية والمسافرون في البر فليس عليهم جمعة، لكن القرى والأمصار فيها جمعة، وأدنى ما يكون ثلاثة، فإن قيل: كيف يمكن أن تكون قرية أو مدينة ليس فيها إلا ثلاثة، فالجواب يمكن هذا بأن تكون هذه المدينة مسافرين جاءوا للدراسة مثلاً - كما يوجد الآن في المجتمعات في بعض البلاد الخارجية - يكون فيها من المواطنين ثلاثة فقط والباقون كلهم مسافرون جاءوا للدراسة، فهؤلاء تلزمهم الجمعة؛ لأن فيها ثلاثة مواطنين، وأما البادية فلا تجب عليهم الجمعة؛ لأن الجمعة لا تكون إلا في القرى والأمصار ولهذا لم تكن البادية في عهد النبي ﷺ وهم حول المدينة يقيمون الجمعة، وفي قوله: «وعليكم بالجماعة، إنما

يأكل الذئب من الغنم القاصية»، دليل على أنه لا ينبغي للمسلمين الافتراق والاختلاف، وأنه واجب عليهم الاجتماع وأن الشرود عن الجماعة سبب في الهلاك، لأن النبي ﷺ شبه ذلك بالقاصية من الغنم البعيدة يأكلها الذئب فتهلك، فهكذا الذي يشذ عن الجماعة حتى لو برأي ينفرد به، ويظن أن النصوص معه وتدل عليه فإن الواجب إذا رأى الإنسان في رأي أن النصوص تدل على خلاف ما يراه الجمهور فالواجب عليه أن يعيد النظر مرة بعد أخرى، إذ لا يمكن أن يكون الجمهور توهموا وأنت الذي أصبت.

ولهذا لما قال حذيفة، لابن مسعود ﷺ: إن قومًا يعتكفون في البصرة والرسول ﷺ يقول: «لا اعتكاف إلا في ثلاثة مساجد: الحرام، والنبوي، والأقصى»، قال: لعلهم ذكروا ونُسِّيت وحفظوا.

فوهم ابن مسعود وحذيفة، وذلك لأن المسلمين يكادون كالمجمعين على أن الاعتكاف يصح في كل مسجد، وأنه لو فرض صحة حديث حذيفة لكان معناه : لا اعتكاف تامًا إلا في هذه المساجد الثلاثة. وإلا فلا يمكن أن يخاطب الله بالقرآن الكريم الأمة الإسلامية يقول: ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ «البقرة: ١٨٧».

ثم نقول: لا اعتكاف إلا في ثلاثة مساجد لا يحضرها ولا واحد بالمائة من المسلمين، هذا خلاف البلاغة وخلاف الفصاحة، لكن بعض الناس يحب الإغراب في الشيء، يحب أن يذكر. ومن أمثال العامة: خالف تُذكر. هو إن شذّ وخالف ما عليه الجماعة اشتهر.

ولهذا يحب بعض الناس أن يفتي بأقوال شاذة ما لها دليل ، مخالف للدليل ورأي الجمهور، ثم يشتهر بهذا، وقد شبه النبي ﷺ الشاذ عن الجماعة بالقاصية من الغنم، يأكلها الذئب، والله الموفق.

الوصية العشرون

صلاة الاستخارة

عن جــابر ﷺ قال: كـان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخـارة في الأمور كلها، كالســورة من القرآن، يقول: «إذا هم أحدكم بالأمـر فليركع ركـعتين من غيـر الفريضـة، ثم ليقل: اللهم! إني أسـتخـيرك بعلمك، وأسـتقـدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنـك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيـوب، اللهم! إن كنت تعلم أن هذا الأمر خيـرًا لي في ديني ومعاشي وعاقـبة أمري ـ أو قال: عاجل أمري وآجله ـ فـاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديـني ومعاشي وعاقبة أمـري ـ أو قال: عاجل أمري وآجله ـ فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضِّني به. قال: ويسمي حاجته».

«رواه البخاري»

والاستخارة مع الله والمشـاورة مع أهل الرأي والصلاح، وذلك أن الإنسان عنده قصور أو تقصير والإنسان خلق ضعيـفًا، فقد تشكل عليه الأمور وقد يتردد فيها، فـماذا يصنع؟ لنفرض أنه هم بسفر وتردد هل هو خـير أم شر، أو هم أن [illegible] سيـارة أو بيتًا أو أن يصاهر رجلاً يزوج ابنتـه، أو ما شابه ذلك. من... فماذا يصنع؟ نقول: له طريقان.

الطـريق الأول: استخارة رب العالمين ـ عـز وجل ـ الذي يعلم ما كان وما يكن وما لم يكن لو كان كيف كان يكون.

الطريق الثاني: استشارة أهل الرأي والصلاح والأمانة، والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾ «آل عمران: ١٥٩» .

وهذا خطاب للنبي ﷺ قال الله تعالى : ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ «آل عمران: ١٥٩» .

وكان النبي ﷺ وهو أسدُ الناسِ رأيًا وأصوبهم صوابًا، يستشير أصحابه في بعض الأمور التي تشكل عليه ، وكذلك خلفاؤه من بعده كانوا يستشيرون أهل الرأي والصلاح.

ولا بد من هذين الشرطين فيمن تستشيره، أن يكون ذا رأي وخبرة في الأمور، وتأن وتجربة وعدم تسرع، وأن يكون صالحًا في دينه؛ لأن من ليس بصالح في دينه ليس بأمين، حتى وإن كان ذكيًا وعاقلاً ومحنكًا في الأمور إذا لم يكن صالحًا في دينه فلا خير فيه، وليس أهلاً لأن يكون من أهل المشورة؛ لأنه إذا كان غير صالح في دينه فإنه ربما يخون ـ والعياذ بالله ـ ويشير بما فيه الضرر أو يشير بما لا خير فيه، فيحصل بذلك من الشر والفساد ما الله به عليم، ولنفرض أنه رجل من أهل الفسق والمجون والفجور، فلا يجوز أن تستشيره لأن هذا يوقعك في هلاك.

كذلك لو كان رجلاً صالحًا دينًا أمينًا ، لكنه مغفل ما يعرف الأمور أو متسرع لا خبرة له ، فهذا أيضًا لا تحرص على استشارته؛ لأنه ربما إذا كان مغفلاً لا يدري عن الأمور يأخذ الأمور بظواهرها، ولا يعرف شيئًا مما وراء الظواهر، وكذلك إذا كان متسرعًا فإنه ربما يحمله التسرع على أن يشير عليك بما لا خير فيه، فلا بد من أن يكون ذا خبرة وذا رأي وذا صلاح في الدين.

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ «الشورى: ٣٨» فإذا أراد ولي الأمر أن يجاهد أو أن يفعل شيئًا عامًا للمسلمين فإنه يشاورهم.

ولكن كيف تكون المشورة؟

المشورة تكون إذا حدث له أمر يتردد فيه، جمع الإمام من يرى أنهم أهل للمشورة برأيهم وصلاحهم واستشارهم.

أما الاستخارة: فهي مع الله - عز وجل - يستخير الإنسان ربه إذا هم بأمر وهو لا يدري عاقبته ولا يدري مستقبله، فعليه بالاستخارة.

والاستخارة معناها: طلب خير الأمرين، وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك بأن يصلي الإنسان ركعتين من غير الفريضة في غير وقت النهي إلا في أمر يُخشى فواته قبل خروج وقت النهي، فلا بأس أن يستخير ولو في وقت النهي.

أما ما كان فيه الأمر واسعًا فلا يجوز أن يستخير وقت النهي، فلا يستخير بعد صلاة العصر، وكذلك بعد الفجر، حتى ترتفع الشمس، مقدار رمح، وكذلك عند زوالها حتى تزول لا يستخير إلا في أمر قد يفوت عليه، يصلي ركعتين من غير الفريضة ثم يسلم وإذا سلم قال: «اللهم! إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم! إن كان هذا الأمر ويسميه خيرًا لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال: عاجل أمري وآجله - يعني إما أن يقول هذا أو هذا - فاقدره لي ويسره لي، وإن كنت تعلم أنه شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال: عاجل أمري وآجله - فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به» وينتهي.

ثم بعد ذلك إن انشرح صدره بأحد الأمرين بالإقدام أو الإحجام فهذا المطلوب، يأخذ بما ينشرح به صدره، فإن لم ينشرح صدره لشيء وبقي مترددًا أعاد الاستخارة مرة ثانية وثالثة.

ثم بعد ذلك المشورة إذا لم يتبين له شيء بعد الاستخارة، فإنه يشاور أهل

الرأي والصلاح، ثم ما أشير عليه به فهو الخير ـ إن شاء الله ـ لأن الله ـ تعالى ـ قد لا يجعل في قلبه بالاستخارة ميلاً إلى شيء معين حتى يستشير ، فيجعل الله ـ تعالى ـ ميل قلبه بعد المشورة.

وقد اختلف العلماء: هل المقدم المشورة أو الاستخارة؟

والصحيح أن المُقدم الاستخارة، فقدم أولاً الاستخارة لقول النبي ﷺ : «إذا هم أحدكم بالأمر فليصل ركعتين ... » إلى آخره.

ثم إذا كررها ثلاث مرات ولم يتبين لك الأمر فاستشر، ثم ما أشير عليك به فخذ به، وإنما قلنا: إنه يستخير ثلاث مرات؛ لأن من عادة النبي ﷺ أنه إذا دعا دعا ثلاثًا، والاستخارة دعاء، وقد لا يتبين للإنسان خير الأمرين من أول مرة، بل قد يتبين في أول مرة أو في الثانية، أو في الثالثة، وإذا لم يتبين فليستشر.



الوصية الحادية والعشرون

فضل السحور

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تسحروا فإن في السحور بركة».

«متفق عليه»

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: «تسحرنا مع رسول الله ﷺ ثم قمنا إلى الصلاة، قيل: كم كان بينهما؟ قال: قدر خمسين آية».

«متفق عليه»

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان لرسول الله ﷺ مؤذنان: بلال وابن أم مكتوم، فقال رسول الله ﷺ: «إن بلالاً يؤذن بليل، فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم» قال: ولم يكن بينهما إلا أن ينزل هذا ويرقى هذا.

«متفق عليه»

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «فضل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر».

«رواه مسلم»

يقال: السُّحور والسَّحور.

فالسحور: الأكل الذي يتسحر به الإنسان، والسحور بالضم: الفعل يعني تسحُّر الإنسان.

والسحور حث عليه النبي ﷺ بقوله وأيده بفعله فقال ﷺ: «تسحروا فإن في السحور بركة». فأمر وبين، أمر بأن نتسحر وبين أن في السحور بركة، فمن بركة السحور: امتثال أمر النبي ﷺ، وامتثال أمر النبي ﷺ كله خير، كله أجر وثواب، ومن بركته: أنه معونة على العبادة، فإنه يعين الإنسان على الصيام، فإن تسحر كفاه هذا السحور إلى غروب الشمس، مع أنه في أيام الإفطار يأكل في أول النهار وفي وسط النهار وفي آخر النهار، ويشرب كثيرًا، فينزل الله البركة في السحور، يكفيه من قبل طلوع الفجر إلى غروب الشمس. ومن بركته: أنه يحصل به التفريق بين صيام المسلمين وصيام غير المسلمين.

ولهذا بين النبي ﷺ أن فصل ما بيننا وبين صيام أهل الكتاب أكلة السحر، يعني: السحور. لأن أهل الكتاب يصومون من نصف الليل، فيأكلون قبل منتصف الليل، ولا يأكلون في السحر، أما المسلمون - ولله الحمد - فيأكلون في السحر في آخر الليل.

والتمييز بين المسلمين والكفار أمر مطلوب في الشرع، ولهذا نهى النبي ﷺ عن التشبه بهم. قال: «خالفوا المجوس وفِّروا اللحى، وحفوا الشوارب».

«متفق عليه»

يعني: أرخوا اللحى لا تقصوها ولا تحلقوها، وقال ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم».

«متفق عليه»

وينبغي أن يؤخر السحور إلى قبيل طلوع الفجر، ولا يتقدم لأن النبي ﷺ قال: «لا يزال الناس بخير ما عجّلوا الفطر وأخروا السحور».

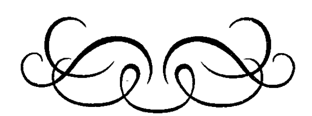
«متفق عليه»

وقال ﷺ : «إن بلالاً يؤذن بليل، فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم، فإنه لا يؤذن حتى يطلع الفجر».

«متفق عليه»

وأما قوله في الرواية التي قالها ابن عمر : «ولم يكن بينهما إلا أن ينزل هذا ويصعد هذا» فهذه مدرجة في الحديث. شاذة، ليست بصحيحة؛ لأن أمر النبي ﷺ بالأكل والشرب حتى يؤذن ابن أم مكتوم دليل على أن بينهما فرقًا كبيرًا يتسع للأكل والشرب والسحور، فهذه جملة ضعيفة شاذة، لا عُمدة عليها، وقد بين زيد بن ثابت رضي الله عنه حينما ذكر أنه تسحر مع النبي ﷺ ثم قاموا إلى الصلاة ولم يكن بينهما إلا قدر خمسين آية. خمسون آية من عشر دقائق إلى ربع الساعة، فإذا قرأ الإنسان قراءة مرتلة أو دون ذلك.

وهذا يدل على أن الرسول ﷺ يؤخر السحور تأخيرًا بالغًا وعلى أنه يقدم صلاة الفجر ولا يتأخر، ثم إنه ينبغي للإنسان حين تسحره أن يستحضر أنه يتسحر امتثالاً لأمر الله ورسوله ويتسحر مخالفة لأهل الكتاب، وكرهًا لما كانوا عليه، ويتسحر رجاء البركة في هذا السحور، ويتسحر استعانة به على طاعة الله، حتى يكون هذا السحور الذي يأكله خيرًا وبركة وطاعة والله الموفق.



الوصية الثالثة والعشرون

بر الوالدين

عن أبي هـريرة ﷺ قال: جاء رجل إلى رسـول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! من أحق الناس بحـسن صحابـتي؟ قال: «**أمـك**» قـال: ثم من؟ قـال: «**أمك**». قال: ثم من؟ قال: «**أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**أبوك**».

«متفق عليه»

وفي رواية: يا رسول **الله!** من أحق الناس بحسن الصحبة؟ قال: «**أمك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أباك، ثم أدناك أدناك**».

والصحابة بمعنى: الصحبة، وقوله: «**ثم أباك**» هكذا هو منصوب بفعل محذوف، أي: بر أباك، وفي رواية: «**ثم أبوك**» وهذا واضح.

هذا الحديث فيـه بيان من أحق الناس بصحبـة الإنسان، فبين النبي ﷺ أن أحق الناس بذلك الأم، فأعيد عليه السؤال فقال: «**أمك**»، مرة ثانية، كرر ذلك ثلاث مرات، ثم بعد ذلك الأب، لأن الأم حصل عليها من العناء والمشقة للولد ما لم يحصـل لغيرها ﴿**حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ**﴾ **«لقمان: ١٤»** ﴿**حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا**﴾ **«الأحقاف: ١٥»**.

وفي الليل تمهـده وتهـدئه حتى يـنام، وإذا أتاه ما يؤلمه لم تـنم تلك الليلة حتى ينام.

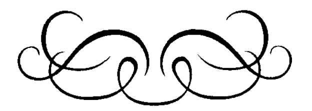
ثم إنها تفديه بنفـسها بالتدفئـة عند البرد، والتبريد عند الحـر وغير ذلك، فهي أشد عناية من الأب بالطفل، ولذلك كـان حقها مضاعـفًا ثلاث مرات على

حق الأب.

ثم إنها ضعيفة أنثى لا تأخذ بحقها ، فلهذا أوصى بها النبي ﷺ ثلاث مرات. وأوصى بالأب مرة واحدة، وفي ذلك الحث على أن يحسن الإنسان صحبة أمه، وصحبة أبيه أيضًا بقدر المستطاع.

أعاننا الله والمسلمين على ذلك.

وفق الله الجميع لما فيه الخير والصلاح ووصلنا والمسلمين بفضله وإحسانه.



الوصية الثالثة والعشرون

صلة الرحم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم، فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذلك، ثم قال رسول الله ﷺ: اقرؤوا إن شئتم: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ﴾ «محمد:٢٢، ٢٣». «متفق عليه»

وفي رواية للبخاري: فقال الله تعالى: « من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته ».

هذا الحديث في بيان فضل صلة الرحم، والرحم سبق لنا أنهم هم الأقارب وصلتهم بما جرى به العرف واتبعه الناس، لأنهم لم يبين في الكتاب ولا السنة نوعها ولا جنسها ولا مقدارها، لأن النبي ﷺ لم يقيده بشيء معين فلم يقيده بأن يأكلوا معك أو يشربوا معك أو يكتسوا معك أو يسكنوا معك بل أطلق ولذلك يرجع فيها للعرف، فما جرى به العرف أنه صلة فهو الصلة، وما تعارف عليه الناس أنه قطيعة فهو قطيعة، هذا هو الأصل.

نعم لو فرض أن الأعراف فسدت وصار الناس لا يبالون بالقطيعة وصارت القطيعة عندهم صلة فلاعبرة بهذا العرف؛ لأن هذا العرف ليس عرفًا إسلاميًا، فإن الدول الكافرة الآن لا تتلاءم أسرهم ولا يعرف بعضهم بعضًا، حتى إن الإنسان إذا شب ولده وكبر صار مثله مثل الرجل الأجنبي الذي لا يعرف أن له

أبًا، لأنهم لايعرفون صلة الأرحام، ولا يعرفون حسن الجوار، وكل أمورهم فوضى فاسدة، لأن الكفر دمرهم تدميرًا والعياذ بالله، لكن كلامنا عن المجتمع المسلم المحافظ، فما عده الناس صلة فهو صلة، وما عدوه قطيعة فهو قطيعة، وفي هذا الحديث تكفل الله سبحانه وتعالى للرحم بأن يصل من وصلها ويقطع من قطعها.

وفي هذا حث وترغيب في صلة الرحم، فإذا أردت أن يصلك الله، وكل إنسان يريد أن يصله ربه - فصل رحمك، وإذا أردت أن يقطعك الله فاقطع رحمك جزاءً وفاقا، وكلما كان الإنسان لرحمه أوصل كان الله له أوصل، وكلما قصر جاءه من الثواب بقدر ما عمل، لا يظلم الله أحدًا.

قال تعالى: ﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ** ﴾، «محمد: ٢٢-٢٣»

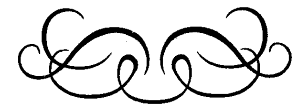
فبين سبحانه وتعالى أن الذين يفسدون في الأرض ويقطعون أرحامهم ملعونون والعياذ بالله، أي: مظرودون ومبعدون عن رحمة الله، وقد أصمهم الله، أي: جعلهم لا يسمعون الحق ولو سمعوا ما انتفعوا به، وأعمى أبصارهم فلا يرون الحق، ولو رأوه لم ينتفعوا به، فسد عنهم طرق الخير، لأن السمع والبصر يوصلان المعلومات إلى القلب، فإذا انسد الطريق لم يصل إلى القلب خير والعياذ بالله.

وقد ذكر أهل العلم من جملة الصلة: النفقة على الأقارب، فقالوا: إن الإنسان إذا كان له أقارب فقراء وهو غني وهو وارث لهم، فإنه يلزمه النفقة عليهم، كالأخ الشقيق مع أخيه الشقيق، إذا كان الأخ هذا يرثه لو مات فإنه يجب على الوارث أن ينفق على أخيه مادام غنيًا، وأخوه فقيرًا عاجزًا عن التكسب، فإن هذا من جملة الصلة.

وقالوا أيضًا: إن من جملة الإنفاق أنـه إذا احتاج إلى النكاح فإنه يزوجه، لأن إعفاف الإنسان من أشد الحاجات.

وعلى هـذا فـإن كان للإنســان أخ شقيق ولا يرثه إلا أخـوه، وأخوه غني وهو فقير عـاجز عن التكسب، وجب عليه أن ينفق عليه طعامًـا وشرابًا وكسوة ومسكنًا وومركـوبًا إذا كان يحتاجه وأن يزوجه أيضًـا إذا احتاج إلى النكاح، لأن الإعفاف من أشد الحاجات فيدخل في صلة الرحم.

وهـذه الأمور يجب على الإنسان إذا كان لا يعلم عنهـا شيئًا أن يسأل أهل العلم حتى يدلوه على الحق، لقـوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ «الأنبياء:٧».



الوصية الرابعة والعشرون

النهي عن تمني لقاء العدو

عن أبي إبراهيم عبد الله بن أوفى ﷺ أن رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها العدو، انتظر حتى إذا مالت الشمس قام فيهم فقال: «يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»، ثم قال النبي ﷺ: «اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم».

«متفق عليه».

نُقل عن عبد الله بن أوفى ﷺ أن رسول الله ﷺ كان في بعض غزواته فانتظر حتى زالت الشمس، وذلك من أجل أن تقبل البرودة ويكثر الظل وينشط الناس، فانتظر حتى إذا مالت الشمس قام فيهم خطيبًا، وكان ﷺ يخطب الناس خطبًا دائمة ثابتة كخطبة يوم الجمعة.

وخطبًا عارضة إذا دعت الحاجة إليها قام فخطب علية الصلاة والسلام، وهذه كثيرة جدًا، فقال في جملة ما قال: «لا تتمنوا لقاء العدو»، أي: لا ينبغي للإنسان أن يتمنى لقاء العدو ويقول اللهم ألقني عدوي «واسألوا الله العافية» ، قل اللهم عافني.

«فإذا لقيتموهم»، وابتليتم بذلك «فاصبروا»، هذا هو الشاهد من الحديث أي: اصبروا على مقاتلتهم واستعينوا بالله عز وجل وقاتلوا لتكون كلمة الله هي العليا.

« واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»، نسأل الله من فضله.

فالجنة تحت ظلال السيوف التي يحملها المجاهد في سبيل الله، وإن المجاهد في سبيل الله إذا قُتِلَ صار من أهل الجنة كما في قوله تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون * يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين﴾. «آل عمران: ١٦٩- ١٧١»، والشهيد إذا قتل في سبيل الله لا يحس بالطعنة أو بالضربة كأنها ليست بشيء ما يحس إلا أن روحه تخرج من الدنيا إلى نعيم دائم أبدًا، ولهذا قال رسول الله ﷺ: «واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف».

وكان من الصحابة ﷺ أنس بن النضر قال: إني لأجد ريح الجنة دون أحد، انظر كيف فتح الله مشامه حتى شم ريح الجنة دون أحد، فقتل شهيدًا ﷺ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»، ثم قال عليه الصلاة والسلام: «اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم»، وهذا دعاء ينبغي للمجاهد أن يدعو به إذا لقي العدو. فهنا توسل الرسول ﷺ بالآيات الشرعية والآيات الكونية، توسل بإنزال الكتاب وهو القرآن الكريم، أو يشمل كل كتاب، ويكون المراد به الجنس، أي: منزل الكتب على محمد وعلى غيره، «ومجري السحاب»، هذه آية كونية، فالسحاب المسخر بين السماء والأرض لا يجريه إلا الله عز وجل.

لو اجتمعت الأمم كلها بآلاتها ومعداتها على أن تجري هذا السحاب أو أن تصرف وجهه ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، وإنما يجريه من إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون.

«وهازم الأحزاب»، فإن الله عز وجل وحده هو الذي يهزم الأحزاب

ومنه: أن الله هزم الأحزاب في غـزوة الأحزاب، والتي قد تجـمع فيها أكـثر من عشرة آلاف مقاتل حول المدينة ليقاتلوا الرسول عليه الصلاة والسلام.

ولكن الله تعالى هزمهم ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرًا فأرسل عليهم ريحًـا وجنودًا زلزلت بهم وكفأت قـدورهم وأسقطت خيامـهم وصار لا يستقر لهم قرار.

ريح شديدة باردة شرقية حتى ما بقوا وانصرفوا.

قال الله عز وجل: ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾. «الأحزاب: ٢٥».

فالله عز وجـل هو هازم الأحزاب، ليست قوة الإنسـان التي هزم بل القوة سبب قد تنفع وقد لا تنفع.

ونحن مأمورون بفعل السبب المباح، لكن هازم الأحزاب حقيقة هو الله عز وجل، **ففي هـذا الحديث عدة فوائد:**

منها: ألا يتمنى الإنسان لقاء العدو وهـذا غير تمني الشهادة.

تمني الشهادة جـائز ولا منهي عنه، بل قد يكون مأمورًا بـه، أما تمني لقاء العدو، فلا تتمنه لأنه نهي عن ذلك.

ومنهـا: أن يسأل الإنسان الله العافية والسـلامة لا يعد لها شيء فلا تتمن الحروب ولا المقـاتلة، واسأل الله العافـية والنصر لدينه. ولكن إذا لقـيت العدو فاصبر.

ومنهـا: أن الإنسان إذا لقي العـدو فإن الواجب عليه أن يصبـر قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ

الصَّابِرِينَ﴾ «الأنفال:٤٥، ٤٦».

ومنها: أنه لا ينبغي لأمير الجيش أو السرية أن يرفق بهم وأن لا يبدأ القتال إلا في الوقت المناسب.

سواء كان مناسبًا من الناحية اليومية أو من الناحية الفصلية، فمثلاً في أيام الصيف لا ينبغي أن يتحرى القتال فيه لأن فيه مشقة، وفي أيام البرد الشديد لا يتحر ذلك أيضًا؛ لأن في ذلك مشقة.

لكن إذا أمكن أن يكون بين بين بأن يكون في الخريف، فهذا أحسن ما يكون.

ومنها: أنه ينبغي للإنسان أن يدعوا بهذا الدعاء:

«اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم».

ومنها: الدعاء على الأعداء بالهزيمة؛ لأنهم أعداؤك وأعداء الله فإن الكافر ليس عدوًا لك وحدك بل هو عدو لك ولربك ولأنبيائه ولملائكته ولرسله ولكل مؤمن. والله الموفق.



الوصية الخامسة والعشرون

فضل آية الكرسي

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فآتاني آت، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال: إني محتاج وعليّ عيال وبي حاجة شديدة، فخليت عنه، فأصبحت، فقال رسول الله ﷺ: «**يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك البارحة؟**» قلت: يا رسول الله شكا حاجته وعيالاً، فرحمته، فخليت سبيله، فقال: «**أما إنه قد كذبك وسيعود**» فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ فرصدته.

فجاء يحثو من الطعام، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال: دعني فإني محتاج وعلي عيال لا أعود، فرحمته وخليت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: «**يا أبا هريرة: ما فعل أسيرك البارحة؟**» قلت: يا رسول الله شكا حاجة وعيالاً فرحمته، وخليت سبيله فقال: إنه قد كذبك وسيعود.

فرصدته الثالثة: فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، وهذا آخر ثلاث مرات أنك تزعم أنك لا تعود، ثم تعود؟ فقال: دعني فإني أعلمك كلمات ينفعك الله بها. قلت: ماهن؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي فإنه لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: «**ما فعل أسيرك البارحة؟**» فقلت: يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها. فخليت سبيله. قال: «**ما هي؟**» قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية: ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ «البقرة: ٢٥٥»، وقال لي: لا يزال عليك من الله حافظ، ولن يقربك شيطان

حتى تصبح، فقال النبي ﷺ: «أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث يا أبا هريرة؟» قلت: لا، قال: «ذاك شيطان». «رواه البخاري»

هذه القصة قصة عجيبة عظيمة وذلك لأن النبي ﷺ وكل أبا هريرة رضي الله عنه على صدقة رمضان - يعني الفطر - يحفظها وكانوا يجمعونها قبل العيد بيوم أو يومين، وكان أبو هريرة وكيلاً عليها، وفي ليلة من الليالي جاء رجل يحثو من الطعام، فأمسكه أبو هريرة وقال: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ فخاف وقال: إني ذو عيال وذو حاجة، فرحمه وأطلقه، فلما أصبح وجاء إلى رسول الله ﷺ قال له ﷺ: «ما فعل أسيرك البارحة؟» وهذه من آيات الله؛ لأن النبي ﷺ لم يكن عنده ولكنه علم بذلك عن طريق الوحي. قال: «ما فعل أسيرك البارحة؟»، قلت: يا رسول إنه قال إنه ذو حاجة وذو عيال فرحمته وأطلقته، فقال النبي ﷺ: «كذبك - يعني كذب عليك - وسيعود»، يقول: فعلمت أنه سيعود لقول النبي ﷺ: إنه سيعود. وكان الصحابة رضي الله عنهم يؤمنون بما أخبر به النبي ﷺ كما يؤمنون بما يشاهدونه بأعينهم أو أكثر. يقول: فرصدته، فجاء فجعل يحثو من الطعام، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، فاشتكى شكايته الأولى أنه محتاج وذو عيال فرحمه رضي الله عنه، وإنما رحمه مع أن الرسول ﷺ قال: «كذبك»؛ لأن أبا هريرة يعلم حلم النبي ﷺ وسعة صدره، وأنه لن يؤنبه، وفعلاً لم يؤنبه فلما أصبح وجاء إلى النبي ﷺ وأخبره قال: «إنه قد كذبك وسيعود»، وفي المرة الثالثة جعل يترقبه وجاء يأكل من الطعام، فقلت: لأرفعن أمرك إلى النبي ﷺ في هذه المرة لأنك قلت: لن تعود ثلاث مرات وعدت. فقال: دعني وإني أعلمك كلمات ينفعك الله بهن، قال: وما هن؟ قال: آية الكرسي ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، إذا أويت إلى فراشك للنوم فاقرأها فإنه لا يزال عليك من الله حافظ فلا يقربك شيطان حتى تصبح، كلمات يسيرة تحفظك. لو جعلت مائة حارس ما استطاعوا أن يمنعوا الشياطين عنك ولكن



هذه كلمات يسيرة يحفظك الله بها. فلما أصبح غدا إلى النبي ﷺ وقال له الخبر، فقال: «إنه صدقك وهو كذوب» - يعني هذه المرة ما قاله لك صادق وهو كذوب - «أتدري من تخاطب منذ ثلاث ليال؟» قلت: يا رسول الله لا أعلم، قال: «ذاك شيطان متلبس في صورة آدمي».

وفي هذا الحديث فوائد كثيرة:

ولكننا نعود لشرح آية الكرسي حيث وقفنا عند قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، والسنة: النعاس، والنوم معروف، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، هذه جملة تفيد عموم ملك الله - عز وجل - وأنه منفرد بالملك سبحانه وتعالى ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، اسم موصول - يعني له الذي - واسم الموصول يفيد العموم والدليل على انفراده بالملك: أنه قدم فيها الخبر: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ وتقديم الخبر يدل على الحصر، فلا أحد يملك شيئًا في السموات ولا في الأرض إلا الله، وما يملكه الإنسان من ثياب وعقارات، ونحو ذلك ملك مقيد لا يستطيع أن يتصرف به كيف يشاء، لو أراد إنسان أن يحرق ثوبه منع. إذًا فملكي الذي هو ملكي لست حرًا في تصرفي فيه إلا على حسب الشرع. ولهذا لا يجوز لنا أن نرابي في أموالنا، مع أنه ربما يكون الذي أعطى الربا موافقًا راضيًا، لكن لا يجوز؛ لأننا لسنا أحرارًا في أملاكنا لا نملكها إلا ملكًا مقيدًا، الملك التام المطلق الذي يفعل فيه المالك ما يشاء هو ملك الله عز وجل ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، ﴿مَن﴾ اسم استفهام بمعنى النفي يعني: لا أحد يشفع عند الله إلا بإذن الله، والشفاعة معروفة وهي: التوسط للغير لجلب منفعة أو لدفع مضرة، من المعلوم أن ملوك الدنيا مهما عظم ملكهم يشفع الإنسان عندهم بدون أي استئذان، حتى إن الملك الكبير الملك تشفع عنده زوجته ولا تستأذن منه، لكن الله - عز وجل - لا أحد يشفع عنده إلا بإذنه، أكرم عباده عنده لا

يشفع إلا بإذن الله، وهذا دليل على كمال سلطانه ـ عز وجل ـ وأنه من كمال سلطانه لا أحد يستطيع أن يتكلم عنده ولا بالشفاعة التي هي خير إلا بإذنه. من أكرم الخلق من بني آدم عند الله؟ إنه محمد ﷺ، ويوم القيامة لا يمكن أن يشفع إلا بعد أن يستأذن من الله ثم يسجد سجودًا طويلاً يفتح الله عليه من المحامد ما لم يفتحه عليه من قبل ثم يشفع، ومَن دونه من باب أولى، لا أحد يشفع إلا بإذن الله، لماذا؟ لكمال ملكه وسلطانه عز وجل، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ يعلم الله عز وجل ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ كل الأمور المستقبلة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ كل الأمور الماضية، وهذا دليل على كمال علمه ـ عز وجل ـ وأنه محيط بكل شيء: ماضيًا وحاضرًا ومستقبلاً، فما بين يديك: ما تستقبله ولو بلحظة، وما خلفك: ما خلفته ولو بلحظة، فمثلاً كلامنا اليوم بعد صلاة العصر من بين أيدينا أم من خلفنا؟ من خلفنا، كلماتي الآن أنا أقول الآن وما بعد الآن مستقبل، والآن حاضر فالله ـ عز وجل ـ يعلم كل ما يكون بين أيدينا الحاضر والمستقبل وما خلفنا وهذا يدل على كمال علمه ـ جل وعلا ـ لأن علم غيره ناقص.

أولاً: نجهل كثيرًا من الأمور ثم يتجدد لنا العلم.

ثانيًا: إذا علمنا شيئًا فهناك آفة لعلمنا وهي النسيان، أما علم الله ـ عز وجل ـ فليس فيه نسيان ولا جهل سابق كما قال موسى عليه السلام لما قال له فرعون: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ * قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ «طه: ٥١، ٥٢».

﴿لَّا يَضِلُّ﴾: يعني: لا يجهل. ولا ينسى: ما مضى، فعلمنا نحن محفوف بآفتين: آفة سابقة وهي الجهل، وآفة لاحقة وهي النسيان، وعلم الله ـ عز وجل ـ خال من ذلك كله.

هـذا الحـديث يبين فضل «آية الكرسي» وأنها أعظم آية في كـتاب الله وقد سبق الكلام على أكثرها إلى قوله تعالى: ﴿**مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ**﴾ يعـني: أن الخلق لا يحيطون بشيء من علمـه إلا بما شاء، والعلم هنا بمعنى المعلوم، يعني: أننا لا نحـيط بشيء ممـا يعلمـه الله إلا بما شـاء الله ـ عـز وجل ـ وهـذا كقـوله: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا**﴾ «الجن: ٢٦، ٢٧».

كذلك أيضًا لا نحيط بشيء من عـلمه ـ أي من علم ذاته وصفاته ـ إلا بما شاء، فلا نعلم ما يتعلق بذات الله وأسمائه وصفاته إلا بما شاء.

ولهـذا قال العلماء ـ رحمهم الله ـ: إن الأسمـاء والصفات توقيفية، بمعنى أنه يتوقف إثباتهـا أو نفيها على ما جاء به الشـرع؛ لأننا لا نعلم من صفات ربنا إلا ما علمنا، ولا من أسمائه إلا ما علمنا ولا من ذاته إلا ما علمنا ـ عز وجل ـ وفي هـذه الجملة دليل على افتقـار الإنسان إلى علم الله ـ عز وجل ـ وأنه ينبغي للإنسـان أن يسأل الله تعـالى أن يعلمـه ما لم يكن يعلـم مما فيـه مصلحـة دينه ودنياه.

﴿**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ**﴾ الكرسي: قال ابن عباس ﷺ: هو مـوضع قدمي الله ـ عـز وجل ـ وهو دون العـرش، والعـرش أعظم منه، وفي الحـديث عن النـبي ﷺ أنه قـال: «**مـا السمـوات السـبع والأرضون السـبع في الكرسي إلا كحلقة ألقيت في فـلاة من الأرض، وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على هـذه الحلقة**».

العـرش أعظم بكثيـر من الكرسي، وخـالق العرش ـ جل وعـلا ـ أعظم وأعظم ـ سـبحـانه وتعالى ـ فـإذا كان هـذا شـأن الكرسي أنه واسع ومحـيط

بالسموات والأرض، فالعرش أعظم، والرب أعظم من كل شيء.

﴿ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ﴾ يعني: لا يثقل ويعجز الله ـ عز وجل ـ أن يحفظ السموات والأرض على ما فيهما من الخلائق وعلى كبرهما واتساعهما وعلى علوه ـ عز وجل ـ فوق كل شيء، فهو لا يغيب عنه شيء، لا يثقله أن يحفظ السموات والأرض ولا يثقله أن يحفظ ما في السموات والأرض.

﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ «الرعد:١١».

﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ «يوسف:٦٤».

فالله ـ عز وجل ـ مع علوه فوق كل شيء لا يؤوده أي: لا يثقله أن يحفظ السموات والأرض ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾، وهو العلي ـ جل وعلا ـ فوق كل شيء وهو العظيم على كل شيء.

قال بعض أهل العلم: والعلو نوعان: علو ذاته: فهو فوق كل شيء.

وعلو صفاته: فصفاته فوق كل شيء، و﴿ الْعَظِيمُ ﴾: يعني: ذو العظمة والعزة والكبرياء والجلال، وبهذه المعاني القليلة بالنسبة لهذه الآية العظيمة يتبين أنها أعظم آية في كتاب الله. والله الموفق.

فهذا الحديث فيه فوائد عظيمة منها:

أن النبي ﷺ وكل أبا هريرة رضي الله عنه على صدقة الفطر، وصدقة الفطر هي التي تخرج من الطعام في آخر شهر رمضان قبل الفطر بيومين أو ثلاثة.

هذه الصدقة لا بد أن تكون من الطعام ـ يعني مما يأكل الناس من التمر أو البر أو الأرز أو غيرها ـ ولا تصلح من غير ما يطعمه الناس، يعني لو أن الإنسان أخرج بدلاً من صاع البر خمسة أو ستة أثواب للفقراء ما أجزأ، لا بد أن تكون من الطعام، وكل النبي ﷺ أبا هريرة على صدقة الفطر، وفي يوم من

الأيام أتى إليه شخص متمثل بصورة الآدمي فأخذ من الصدقة بدون استئذان، وبدون أن يصرف له أبو هريرة شيئًا، فأمسكه، وقال: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، فخاف هذا الشخص وادعى أنه صاحب عائلة وأنه في حاجة فرحمه أبو هريرة وأطلقه، فلما أصبح وأتى إلى النبي ﷺ وإذا الوحي قد جاءه من الله - عز وجل - في هذه القصة، فقال له - أي لأبي هريرة -: «ما فعل أسيرك البارحة؟» - يعني الذي أمسكته - فقال: يا رسول الله إنه ادعى أنه ذو حاجة وذو عيال فرحمته وأطلقته قال: «أما إنه كذبك وسيعود»، يقول: فعلمت أن هذا الشخص سيعود لقول النبي ﷺ فرصده - يعني ترصد له - في الليلة الثانية فجاءه وفعل كالليلة الأولى واعتذر بما اعتذر به في الليلة الأولى، فرحمه أبو هريرة وأطلقه، ثم أخبر النبي ﷺ فقال: «إنه كذبك وسيعود» فعاد في المرة الثالثة ولكن أبا هريرة أمسكه وقال: لا بد أن أرفعك إلى النبي ﷺ، فقال: إني أعلمك كلمات ينفعك الله بهن. قلت: وما هن؟ قال: آية الكرسي. فقال النبي ﷺ: «أما إنه صدقك وهو كذوب»، أي: أخبرك بالصدق مع أنه كذوب غرور كذب على أبينا آدم، وقال له وهو في الجنة: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠].

هذه الشجرة قال الله لآدم وحواء: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ [البقرة: ٣٥].

فجاء الشيطان إلى آدم وحواء وغرهما وأقسم لهما إنه ناصح وهو كاذب غاش، فهو كذوب، وأقره ﷺ أن من قرأ هذه الآية «آية الكرسي» لم يزل عليه حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح.

هذه القصة فيها فوائد:

١- أنه لا بأس أن الناس يخرجون صدقات الفطر إلى ولي الأمر - السلطان أو نائبه - فلو شكلت لجنة تجمع زكاة الفطر من الناس فإن الإنسان إذا دفعها إلى

هـذه اللجنة برئت ذمته.

٢ـ جواز تصرف الوكيل فيـما وكل فيه إذا وافق على ذلك الموكل؛ لأن أبا هريرة تصرف هـذا التصرف وأعطى هـذا الرجل أو الشـخص. أقول الرجل أو الشخص لأن الجن يسـمون رجالاً، قـال تعالى: ﴿ وأنه كـان رجـال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ﴾ «الجن:٦».

٣ـ أن الشيطان قد يتمثل بصورة الإنسـان ويتمثل بصورة الكلاب حتى قال بعض العلماء في قول الرسول ﷺ: «الكلب الأسود شيطان». «متفق عليه».

أي: أن الشياطين تتمثل فتكون كلابًا سوداء.

ولكن الصحيح أن معنى الحديث أن: «الكلب الأسود شيطان» يعني هو شيطان الكلاب، وأخبثها وأشدها ضرراً وتمردًا، وتتمثل الشياطين بالحيوانات في القط، وتتمثل أيضًا بالحية كمـا في الحديث الصحيح: أن رجلاً من الأنصار شابًا تزوج حديثًا، فلمـا جاء إلى بيته وجد زوجـته على الباب فسـألها لماذا؟ قالت: ادخل، فلما دخل وجـد على الفراش حـية، فأخـذ الرمح فوخذها فـماتت ولما ماتت مـات هو في الحال، فلا يدرى أيهمـا أسرع موتًا: الحيـة أم هـذا الرجل؟ لأن الحية هـذه صارت جنية، فلما قتلها، قتله أهلها في الحال.

ولهـذا نهى النبي ﷺ عن قتل الحيات التي في البيوت، فلا يجوز للإنسان أن يقتل الحية إذا رآها في بيتـه، ولكن حَرِّج عليها ثلاثة أيام، قل لها: أنت مني في حرج، لا تقعدي في بيتي، إذا جاءت بعد الثالثة اقتلها؛ لأنها إن كانت جنية فهي إذا حُرِّجت لا تأتي، وإن كـانت غير ذلك فإنها لا تدري فتأتي بـعد الثالثة وحينئذ تقتل، إلا أن الرسول ﷺ اسـتثنى نوعين من هـذه الدواب تقتل ولو في البيوت وهما: الأبتر وذو الطفيفتين.

والأبتر: قصير الذنب وهو نوع من الحيات فهو يقتل ولو في البيت .

وذو الطفيفتين: يقول العلماء: إنهما خطان أبيضان على ظهر الحية، هذه تقتل ولو في البيوت؛ لأنهما كما قال النبي ﷺ: "**يخطفان البصر من شدة قبحهما، ويدفعان ما في بطون النساء من حمل**"، فلهذا أمر النبي ﷺ بقتل هذين النوعين ولو في البيوت، الشاهد من هذا: أن الشيطان والجن يتصوران بصور غير صورها الزصلية.

٤- أنه يجوز تقديم زكاة الفطر قبل العيد ولو بأكثر من يومين إذا كانت تدفع إلى ولي الأمر، وولي الأمر يجب عليه ألا يخرجها إلا في وقتها.

٥- آية من آيات الرسول ﷺ وهو علمه بما جرى مع أنه لم يطلع، لكن جاءه الوحي من الله (عز وجل).

٦- ينبغي للإنسان كلما جاء إلى فراشه للنوم أن يقرأ آية الكرسي من أولها إلى آخرها، وليس منها قوله تعالى: ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ﴾، هذه آية خارجة عنها، آخر آية الكرسي ﴿ **وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ** ﴾.

فتقرأها كلما أويت إلى فراشك حتى لا يقربك الشيطان حتى تصبح، ولم يزل عليك من الله حافظ، وحدثني جد هذا الرجل الذي يتولى الأذان معنا الآن أنه كان يقرؤها كل ليلة وأنه نسيها ليلة من الليالي فلدغته عقرب؛ لأن الرسول ﷺ قال: "**لم يزل عليه من الله حافظ**".

وهو نسي أن يقرأها فلم يوجد الحافظ. فإذن احرص على قراءتها كل ليلة وخصوصًا إذا أويت إلى فراشك.

٧- قبول الحق، ولو جاء من أي إنسان، حتى ولو كان شيطانًا أو مشركًا، حتى لو كان يهوديًا أو نصرانيا، فإن الله قبل الحق من المشركين والنبي ﷺ قبل الحق من اليهودي، وأقر الحق من الشيطان، كما في هذا الحديث، أما قبول الله من المشركين: ﴿ **وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا** ﴾«**الأعراف:٢٨**».

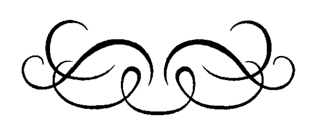
لأنه حق صحيح وجدوا آبائهم على هذه الفاحشة، لكن الله لم يأمرهم بها.

وأما قبول النبي ﷺ من اليهودي: فإنه جاءه حبر من أحبار اليهود قال: إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، وذكر تمام الحديث، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقًا لقول هذا اليهودي الحبر، ثم قرأ ﷺ: ﴿ **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾«**الزمر:٦٧**». «**رواه البخاري**»

وأقر الحق الذي قال به الشيطان كما في هذا الحديث.

فعليك أن تقبل الحق من أي إنسان، وأن ترد الباطل من أي إنسان، ولهذا كان من الكلمات المأثورة عند العلماء: الرجال يعرفون بالحق، والحق لا يعرف بالرجال.

يعني: لا تجعل مدار قبولك الحق على الرجل وصحيح أن العالم أقرب إلى الصواب ولكن قد يخطئ وقد يصيب. والله الموفق.



الوصية السادسة والعشرون

فضل العلم

عن أبي الدرداء ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر».

«رواه أبو داود والترمذي»

هذا الحديث يبين فضل العلم تعلمًا وتعليمًا لله، قال النبي ﷺ: «من سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة»، وفيه أيضًا أن النبي ﷺ قال: «إن العالم ليستغفر له من في السموات والأرض حتى الحيتان في الماء»، وهذا يدل على فضل العلم وأن العلماء يستغفر لهم أهل السماء والأرض وحتى الحيتان في البحر، وحتى الدواب في البر، كل شيء يستغفر له، ولا تستغرب أن تكون هذه الحيوانات تستغفر الله عز وجل للعالم؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال في القرآن الكريم، على لسان موسى عليه السلام: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ «طه:٥٠».

فالبهائم والحشرات تعلم ربها عز وجل وتعرفه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ «الإسراء:٤٤».

كل شيء يسبح بحمد الله حتى إن الحصى سُمع تسبيحه بين يدي النبي ﷺ وهو حصى؛ لأن الله تعالى رب كل شيء ومليكه حتى إن الله قال للسموات والأرض: ﴿ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾، يعني لما أمركما به، ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

فكل شيء يمتثل أمر الله عز وجل إلا الكفرة من بني آدم والجن، ولهذا قال الله عز وجل في كتابه العزيز بين أن كثيرًا من الناس يسجد لله عز وجل، وكثيرًا حق عليه العذاب: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ [الحج: ١٨].

ما يسجد ولهذا الكافر لا يستجيب لله، لا يسجد لله شرعًا وتعبدًا، لكنه يسجد لله ذلاً قدريًا ما له مفر عما قضى الله.

كما قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد: ١٥].

والسجود هنا السجود القدري، فكل واحد خاضع لقدر الله، ما أحد يستطيع أن يغالب الله عز وجل، أين المفر؟ يقول الشاعر:

أين المفر والإله الطالب .·. الأشرم المغلوب ليس الغالب

فالسجود الشرعي كثير من الناس حق عليهم العذاب فلم يسجدوا، على أن الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب كلها يسجد لله عز وجل.

لكن الكفرة من بني آدم ومن الجن لا يسجدون لله تعالى إلا السجود الكوني القدري، ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾.

المهم أن الله تعالى سخر هذه الكائنات تستغفر للعالم، وأفضل من ذلك

أن الملائكة تضع أجنحتـها لطالب الـعلم رضًا بما يصنـع، الملائكة الكرام الذين كرمهم الله عز وجل، تضع أجنحتـها لطالب العلم رضًا بما يصنع، أترون فضلاً أعظم من هـذا، أن الملائكة ـ ملائكة الله عز وجل ـ تضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع، هـذا فضل عظيم.

وبين النبي ﷺ في حديث أبـي الدرداء أن العلماء ورثة الأنبيـاء لو سألت من الذي يرث الأنبياء؟ العباد الذين يركعـون ويسجدون ليلاً ونهارًا؟ لا، أقارب الأنبياء؟ لا، لا يرث الأنبياء إلا العلمـاء ـ اللـهم اجعلنا منهم ـ العلماء هم ورثة الأنبياء.

• الأنبياء لم يورثوا درهمًا ولا دينارًا:

توفى النبي ﷺ عن ابنته فـاطمة، وعن عمه العبـاس وعن أبناء عمه وعن زوجاته، ولم ترثه ابنته ولا زوجـاته ولا عصبته؛ لأن الأنبـياء لا يورثون درهمًا ولا دينارًا، وهـذا من حكمة الله (عز وجل) أنهم لا يورثون لئلا يقول قائل: إن النبي ﷺ إنما ادعى النبوة لأجل أن يملك فيورثوا، فـيرثه أقاربه من ذلك، فقطع هـذا، وقيل: النبي لا يرثه ابنه، وأمـا قول زكريا: ﴿**فـهب لي من لدنك وليـا * يرثني ويرث من آل يعقوب**﴾ [مريم: ٥، ٦].

فالمراد بذلك إرث العلم والنبـوة وليس المال، فالأنبيـاء لا يورثون ما ورثوا درهمًـا ولا دينارًا إنما ورثوا العلم ـ صلوات الله عليـهم ـ هـذا أعظم ميـراث، «**فمـن أخذه أخذ بحـظ وافر**» أي: بنصيب وافر كثـير، من أخذ بهـذا الإرث، وأسأل الله أن يجعلني وإياكم من آخذيه، هـذا هو الإرث الحقيقي النافع.

«**العلمـاء ورثة الأنبياء، والأنبـياء لـم يورثوا درهمًـا ولا دينارًا، وإنما ورثوا العلم**».

أليس الإنسان يسعى من شرق الأرض إلى مغربها من أجل أن يحصل على

مال خلفه أبوه له وهو متاع دنيا، فلماذا لا نسعى من مشارق الأرض ومغاربها إلى أخذ العلم الذي هو ميراث من؟ الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.

جدير بنا أن نسعى بكل ما نستطيع لأخذ العلم الموروث عن الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ولو لم يكن من فضل العلم إلا أن العالم كلما عمل شيئًا فهو يشعر مع إخلاصه لله عز وجل، يشعر بأن إمامه محمد ﷺ؛ لأنه يعبد الله على بصيرة، عندما يتوضأ يشعر كأن الرسول ﷺ أمامه، يتوضأ الآن يتبعه تمامًا، وكذلك في الصلاة وغيرها من العبادات لو لم يأتك من فضل العلم إلا هذا لكان كاف، فكيف وهذا الفضل العظيم في حديث أبي الدرداء رضي الله عنه فالمهم أن الإنسان الذي يمن الله عليه بالعلم فقد من الله عليه بما هو أعظم من الأموال والبنين والزوجات والقصور والمراكب وكل شيء.

اللهم ارزقنا علمًا نافعًا، وعملاً صالحًا ورزقًا طيبًا واسعًا تغننا به عن خلقك، إنك على كل شيء قدير.



الوصية السابعة والعشرون

ذكر الصباح والمساء

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أبا بكر رضي الله عنه قال: يا رسول الله مرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت، قال: «قل: اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه» قال: «قلها إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك».

«رواه أبو داود والترمذي»

هذا من الأذكار التي تقال في الصباح والمساء والتي علمها النبي ﷺ أبا بكر رضي الله عنه حيث قال: علمني، فعلمه النبي ﷺ ذكرًا ودعاء يدعو به كلما أصبح وكلما أمسى، يقول رضي الله عنه قال: «قل: اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه».

«قل: اللهم فاطر السموات والأرض» يعني: يا الله يا فاطر السموات والأرض، وفاطرهما يعني: أنه خلقهما عز وجل على غير مثال سبق بل أبدعهما وأوجدهما من العدم على غير مثال سبق.

«عالم الغيب والشهادة» أي: عالم ما غاب عن الخلق وما شاهدوه؛ لأن الله تعالى يعلم الحاضر والمستقبل والماضي.

«رب كل شيء ومليكه» يعني: يا رب كل شيء ومليكه، والله تعالى هو رب كل شيء وهو مليك كل شيء، والفرق بين الرب والمالك في هذا الحديث: أن الرب هو الموجد للأشياء الخالق لها، والمليك هو الذي يتصرف فيها كيف

يشاء «أشهد أن لا إله إلا أنت»، أعترف بلساني وقلبي أنه لا معبود حق إلا أنت، فكل ما عبد من دون الله فإنه باطل لا حق له في العبودية، ولا حق في العبودية إلا لله وحده عز وجل.

«أعوذ بك من شر نفسي»؛ لأن النفس لها شرور، كما قال تعالى: ﴿ وما أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي ﴾ [يوسف: ٥٣]، فإذا لم يعصمك الله من شرور نفسك؛ فإنها تضرك وتأمرك بالسوء، ولكن الله إذا عصمك من شرها، وفقك إلى كل خير.

«ومن شر الشيطان وشركه»، وفي لفظ: «وشركه»، يعني: تسأل الله أن يعيذك من شر الشيطان ومن شر شركه، أي: ما يأمرك به من الشرك، أو «شرَكه» والشَرَك ما يصاد به الحوت والطير وما أشبه ذلك؛ لأن الشيطان له شَرَك يصطاد به بني آدم، إما شهوات أو شبهات أو غير ذلك.

«وأن أقترف على نفسي سوءًا أو أجره إلى مسلم»، وهذه تتمة الحديث ولعله سقط من هذه النسخة.

«وأن أقترف على نفسي سوءًا»، أقترف يعني: أجر على نفسي سوءًا.

«أو أجره إلى مسلم»، فهذا الذكر أمر النبي ﷺ أبا بكر أن يقوله إذا أصبح وإذا أمسى وإذا أخذ مضجعه.

نسأل الله لنا ولكم الهداية والتوفيق لما يحب ويرضى.



الوصية الثامنة والعشرون

ذكر النوم

عن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له ولفاطمة رضي الله عنها: «إذا أويتما إلى فراشكما أو إذا أخذتما مضاجعكما، فكبرا ثلاثًا وثلاثين، وسبحا ثلاثًا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا وثلاثين»، وفي رواية: «التسبيح أربعًا وثلاثين»، وفي رواية: «التكبير أربعًا وثلاثين».

«متفق عليه»

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره فإنه لا يدري ما خلفه عليه، ثم يقول: باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين».

«متفق عليه»

هذان الحديثان في بيان ما يقوله الإنسان عند نومه، الحديث الأول حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه وفاطمة بنت محمد رضي الله عنها وصلى الله وسلم على أبيها، وذلك أن فاطمة اشتكت إلى النبي ﷺ ما تجده من الرحى ـ أداة لطحن الحب ـ وطلبت من أبيها خادمًا فقال ﷺ: «ألا أدلكما على ما هو خير من الخادم؟» ثم أرشدهما إلى هذا أنهما إذا أويا إلى فراشهما وأخذا مضجعيهما ، يسبحان ثلاثًا وثلاثين، ويحمدان ثلاثًا وثلاثين، ويكبران أربعًا وثلاثين، قال: «فهذا خير لكما من الخادم».

وعلى هذا فيسن للإنسان إذا أخذ مضجعه لينام أن يسبح ثلاثًا وثلاثين،

ويحمد ثلاثًا وثلاثين، ويكبر أربعًا وثلاثين، فـهـذه مائة مرة، فإن هـذا مما يعين الإنسان في قضاء حاجاته، كماأنه أيضًا إذا نام فإنه ينام على ذكر الله عز وجل.

وكذلك أيضًا حديث أبي هريرة، إذا أراد الإنـسان أن ينام أن ينفض فراشه بداخلة إزاره ثلاث مرات وداخلة الإزار: طرفه مما يلي الجسد، وكأن الحكمة في ذلك والله أعلم بألا يتلوث الإزار بما قـد يحدث من أذى في الفـراش، وليقل: «باسـمك اللـهم وضـعت جنبي وبك أرفـعـه إن أمسكت نفسي فـاغفـر لهـا وارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين».

وذلك أن الإنسان إذا نام فإن الله تعالى يقبض روحه كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها﴾ **«الزمر:٤٢»**.

ولكن قبض الروح في المنام ليس كقبضها في الموت إلا أنه نوع من القبض ولهـذا يفقـد الإنسان وعيه ولا يحس بمن حوله، فلهـذا سـماه الله تعالى وفاة، وقال تعالى: ﴿وهو الَّذي يتوفاكم باللَّيل ويعلم ما جرحتم بالنَّهار﴾ **«الأنعام:٦٠»**.

فينبغي للإنسان أن يقول هـذا الذكر: «باسمك اللـهم أحيا وأموت، اللـهم بك وضـعت جنبي وبك أرفعـه، إن أمسكت روحي فـاغفـر لها وارحـمهـا وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين».

«متفق عليه»

وكذلك الحديث الاتي:

عن البـراء بن عـازب ﷺ قـال: قال لي رسـول الله ﷺ: «إذا أتـيـت مضجعك فتوضـأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، وقل: اللـهم أسلمت نفـسي إليك، ووجـهت وجـهي إليك، وفوضـت أمري إليك، وألجـأت ظهري إليك، رغبة ورهبـة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك

الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت، مت على الفطرة واجعلهن آخر ما تقول ».

«متفق عليه»



الوصية التاسعة والعشرون

فضل الذكر

عن أم المؤمنين جويـرية بنت الحارث ﵂ أن النبي ﷺ خـرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجـدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقـال: «ما زلت على الحـال التي فارقتك عليـها؟»، قالت: نعم، فـقال النبي ﷺ: «لقـد قلت بعدك أربـع كلمات ثلاث مـرات، لو وزنت بما قلت منذ اليـوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته».

«رواه مسلم»

وفي رواية له: «سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله رضاء نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله مداد كلماته».

وفي رواية الترمذي: «ألا أعلمك كلمات تقولينها؟ سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله عدد خلقـه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله زنة عرشه».

هذه الأحاديث من الأحاديث التي فيهـا بيان فضيلة نوع من أنواع الذكر، وهو ما روته أم المؤمنين جويرية بنت الحـارث عن النبي ﷺ أنه خرج من عندها الفجـر ثم رجع إليهـا ضحًـا، وهي تسبح وتهلل فـبين لها ﷺ أنه قـال بعدها كلمات تزن مـا قالت منذ الفجـر، أو منذ الصبح: «سبحان الله وبحمده عدد خلقه» **ثلاث مرات.**

«سبحان الله وبحمده رضا نفسه» **ثلاث مرات.**

« سبحان الله وبحمده زنة عرشه» ثلاث مرات.

« سبحان الله وبحمده مداد كلماته» ثلاث مرات.

أما « سبحان الله وبحمده عدد خلقه» فمعناه أنك تسبح الله عز وجل وتحمده عدد مخلوقاته، ومخلوقات الله عز وجل لا يحصيها إلا الله كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ ﴾ «المدثر:٣١».

وأما « سبحان الله وبحمده زنة عرشه»، وزنة عرشه لا يعلم ثقلها إلا الله سبحانه وتعالى؛ لأن العرش أكبر المخلوقات التي نعلمها، فإن النبي ﷺ يروى عنه أنه قال: « إن السموات السبع والأرضين السبع في الكرسي كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على هذه الحلقة».

إذن فهو مخلوق عظيم لا يعلم قدره إلا الله عز وجل.

وأما « سبحان الله وبحمده رضا نفسه»، فيعني: أنك تسبح الله وتحمده حمدًا يرضى به الله عز وجل، وأي حمد يرضى به الله إلا وهو أفضل الحمد وأكمله.

وأما « سبحان الله وبحمده مداد كلماته» والمداد: ما يكتب به الشيء وكلمات الله تعالى لا يقارن بها شيء، قال الله تعالى:

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ «لقمان:٢٧».

وقال تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ «الكهف:١٠٩».

فكلمات الله تعالى لا نهاية لها، فالمهم أنه ينبغي لنا أن نحافظ على هذا

الذكر.

«**سبحان الله وبحمده عدد خلقه**» ثلاث مرات.

«**سبحان الله وبحمده رضا نفسه**» ثلاث مرات.

«**سبحان الله وبحمده زنة عرشه**» ثلاث مرات.

«**سبحان الله وبحمده مداد كلماته**» ثلاث مرات.

فيكون الجمع اثنتي عشرة مرة.



المنصورة ت / ٢٢٣٣٨٦٧